

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي  
جامعة الدكتور مولاي الطاهر - سعيدة-  
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية  
قسم: العلوم الإنسانية  
شعبة التاريخ



مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي  
موسومة ب:

دور الأوقاف في النهضة العلمية بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني  
مابين القرنين "السابع و التاسع الهجريين (15-13م)"

تحت إشراف الأستاذة المحترم :

\* رزيوي زينب

من إعداد الطالبة :

زراوي أمال

أعضاء لجنة المناقشة :

رئيسا

-

مشرفة و مقررة

- الأستاذة : رزيوي زينب

مناقش

-

السنة الجامعية:

1436-1435 هـ / 2014-2015 م

### كلمة شكر و عرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة على و السلام على  
الرسول الصادق الأمين

نبدأ بشكر من هو أهل لكل الشكر و حمد و ثناء  
خالقنا و مولانا الله عزوجل.

الذي غمرنا بفضله وهدانا إلى طريق العلم و  
المعرفة

نتقدم بالشكر إلى الأستاذة الفاضلة: رزيوي زينب،  
التي رافقتنا طيلة هذا البحث.

إلى من ساهم و سعدنا في انجاز هذا البحث و ولو  
بكلمة طيبة

نتوجه إلى الله العلي القدير بالحمد والثناء والشكر

وفي الأخير إلى الأساتذة و طلبة قسم التاريخ.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلي أبي و أمي أطال الله في عمرهما.  
إلى أغلى ما منحني الله أخي و أخواتي : عبد الكريم ,نعيمة  
فراح، أمينة، هوارية، سعاد.  
إلي التي ضلت تدعو لي في كل صلاة من أجل أن ارتقي إلي  
أعلى المراتب أمي الغالية.  
إليك أبي مصدر إلهامي و نجاحي.  
إلى الروح التي سكنت روحي و الشمعة التي أضاعت دنياي  
الكتكوت عبد الرحمان  
إلى كل من كان سنداً لي و دعماً لي و أمدني بالعزم أخي  
الثاني عادل  
إلى رفقاء دربي الدراسي : ماجي، مونة، أمينة.  
وفي الخير إلي السادة المحترمة رزيوي زينب  
إلى كل من يعرفني.  
إلى كل من يحمل لقب زراوي.

زراوي أمال

شكر و عرفان

الاهداء

مقدمة.....أ

المدخل:الوضاع السياسية للمغرب الاوسط خلال العهد

الزنياني.....07

الفصل الاول:التعليم في تلمسان.....18

أولاً: - عوامل تشجيع الحركة العلمية.....18.

أ- عناية السلاطين و تشجيعهم.....18

ب- الرحلة العلمية.....19

ج-الهجرة الاندلسية و تأثيرها في

التعليم.....21

ثانيا:التعليم في تلمسان.....22

مراحل التعليم وطرقه.....22

طرق التدريس.....23

العلوم التي كانت تدرس.....24

الفصل الثاني:الوقف الإسلامي.....30

تعريف الوقف او الحبس لغة.....30

في اصطلاح الفقهاء.....31

مشروعيته.....31

ثانيا:إدارة الوقف.....35

أ-ناظر الوقف.....35

ب-تسيير الاوقاف من قبل الناظر.....

|         |                                                             |
|---------|-------------------------------------------------------------|
| 37..... | ج -التعدي علي املاك الاوقاف                                 |
|         | -دور الوقف في مختلف جوانب                                   |
| 38..... | الحياة                                                      |
|         | <b>الفصل الثالث: نماذج من أوقاف المغرب الأوسط ودورها في</b> |
| 42..... | التعليم                                                     |
| 42..... | الوقف علي الساجد                                            |
| 47..... | الوقف علي المدارس                                           |
| 55..... | الوقف علي الزوايا                                           |
| 57..... | الوقف علي الكتاتيب                                          |
| 59..... | الوقف علي المكتبات                                          |
| 63..... | <b>الخاتمة</b>                                              |
| 65..... | <b>الملاحق</b>                                              |
| 72..... | <b>قائمة المصادر و المراجع</b>                              |
|         | <b>الفهرس</b>                                               |

## مقدمة

لقد عرفت المجتمعات الاسلامية الوقف او الحبس و يعود انتشاره الى العهود الاسلامية الاولى فأول وقف كان مسجد القباء الذي بناه الرسول عليه الصلاة و السلام و ظلت المشاريع الوقفية في الانتشار خصوصا مع توسع الرقعة الاسلامية, و ان الاقبال عليه تعاظم بشكل كبير, خاصة مع حكم الدولة الزيانية, فسعى أمراء هذه الدولة بإنشاء مؤسسات وقفية انتشرت في انحاء تلمسان, و تنوعت أدوارها الثقافية و الاجتماعية, فكان له دورا فعالا, في تحقيق التضامن و التكافل الاجتماعي, و دفع عجلة الحركة العلمية و نظرا لأهميه في حقل الدراسة التاريخية, جاء عنوانه موسوم بـ "دور الاوقاف في النهضة العلمية بالمغرب الاوسط خلال العهد الزياني ما بين القرنين السابع و التاسع الهجريين (13 و 15م)" الذي تقف وراء اختياره جملة من الاسباب ممزوجة بذاتية و أخرى موضوعية, فالدوافع الموضوعية وتمثلت في ان هذا الموضوع, لم يهتم بالدراسة التاريخية, بعكس ما حظي به الجانب السياسي, لهذه الدولة من عناية من طرف الباحثين, على حساب الجوانب الحضارية الاخرى, أما الدوافع و الميول الذاتي هي الرغبة في معرفة مظاهر الحضارية الزيانية و خصوصا موضوع الاوقاف الذي حمل صيغة دينية, و تاريخية في نفس الوقت و الذي يبدو غامضا لذا جاءت محاولتي هذه لإمطة الثام, حوله و استجلاء بعض الحقائق التاريخية, عنه بذلك أكون قد قدمت خدمة متواضعة, لتراث الاسلامي.

و تهدف هذه الدراسة التاريخية, الى أهمية الوقف الاسلامي في تنمية التعليم, و نشره و ازدهاره في الدولة الزيانية و اعطاء صورة عن الممتلكات الوقفية, التي كان ريعها مخصص للاهتمام بالعلم و أهله, و لعل الاشكالية التي تتبادر الى الذهن عند دراسة هذه المواضيع هي: الى أي مدى ساهمت الاوقاف في انتعاش الحركة العلمية لدولة الزيانية؟

و ماذا نعني بالوقف ؟ نشأته و ماهيته ؟

و ماهي الممتلكات التي حبسها السلاطين و العامة؟

ولمعالجة البحث بمختلف جوانبه اعتمدنا على خطة بحث مكونة من مقدمة و تمهيد عبارة عن لمحة عامة عن المغرب الاوسط ثم ثلاثة فصول:

-**الفصل الاول:** تطرقت فيه الى الحياة العلمية، لدولة الزيانية و دور السلاطين في انتعاش الحركة الفكرية و الهجرة الاندلسية , و تأثيرها في التعليم.

-**الفصل الثاني:** حاولت أن الوقف الاسلامي من خلال تعريفه و مشروعيته و اهميته في مختلف جوانب الحياة.

-**الفصل الثالث:** تتضمن أهم المؤسسات التعليمية التي حظيت بشكل كبير من الأوقاف.

و أخيرا الخاتمة التي هي عبارة عن اهم الاستنتاجات و النتائج التي تم التوصل اليها بالإضافة الي مجموعة من الملاحق لإثراء البحث.

ولقد اقتضت طبيعة الموضوع بإتباع المنهج التاريخي, من حيث الاعتماد على المصادر وعلى التوثيق و القراءة الفاحصة استقراء النصوص و التحليل والاستنباط و النقد و المقارنة.

اما في ما يخص الصعوبات التي واجهتني في انجاز البحث تمثلت في صعوبة انجاز مذكرة لأننا لم نعود على انجاز مذكرة, من قبل و توقف المصادر عند التاريخ السياسي و قلة تطرقها و معالجتها لجوانب الحضارية و بالأخص الفترة الموضوع الذي درسته, بالإضافة الي ضيق الوقت, و التنقل الى جامعات اخرى , و عدم السماح لنا باصطحاب الكتب, خارجا, و ذلك الافتقار مكتبتنا بهذه الموضوعات.

-**دراسة المصادر:** لقد اعتمدت في انجاز مذكرتي على عدة مجموعة من المصادر, المتمثلة في كتب و مذكرات لشخصيات عايشة الفترة المدروسة, و قد كانت لها وزنها في الحياة السياسية , الاقتصادية كأمثال: **عبد الرحمان ابن خلدون** من خلال كتابه, **العبر و ديوان المبتدأ و**

الخبر في ايام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر(ت:808هـ\_1406م)خاصة الجزء السابع الذي خصص منه قسما مهما لتعريف ببني عبد الواد و قيام دولتهم وتطورها حتى عهد المؤلف,

\_تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان:لأبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي(ت:899هـ-1493م) وقد حققه محمد بوعياذ و نشر سنة 1985مو تناول صاحبه الادوار التاريخية للدولة الزيانية من قيامها حتى عهده كما اهتم بذكر حياة السلاطين الزيانيين.

-بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد:لصاحبه ابي زكرياء يحي ابن خلدون (ت:708هـ-1378م) وهو اخو عبد الرحمان ابن خلدون و يعد هذا الكتاب كذلك من المصادر الهامة و الاساسية قي دراسة التاريخ الزياني لكون صاحبه عمل كاتباً للرسائل في ديوان السلطان الزياني أبو حمو موسى الزياني الثاني (760\_791)هـ(1359-1389)م.

-البستان في ذكر الاولياء و العلماء يتلمسان:لأبي عبد الله بن محمد بن احمد الملقب بابن الشريف الميلاي التلمساني,وهو الاخر مصدر هام في المغرب الاوسط خلال عهد بني زيان,وغيرها من المصادر التي خدمتنا طيلة اطوار البحث.

\_اما المراجع فهي عبارة دراسات اكااديمية تطرقت الى موضوع الاوقاف و دوره في التعليم على العهد الزياني , ومن اهم هذه المراجع الوقف في المغرب الاسلامي ما بين القرنين (7\_9هـ)\_ (13\_15م) ودوره في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية الثقافية :لعبيد بوداود بالدرجة الاولى,و ابو حمو موسى حياته وأثاره:لعبد الحميد حاجيات,بالإضافة الى التاريخ السياسي و الحضاري لدولة بني عبد الواد :للخضر عبدلي,وتلمسان في

**العهد الزياني:** عبد العزيز فيلالي، بالإضافة الى المراجع الاخرى التي غطت جوانب عديدة من البحث من خلال ما و فرته لنا من معلومات تاريخية قيمة.

## المدخل: الأوضاع السياسية للمغرب الأوسط خلال العهد الزياني ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م)

### أ. أصل بني عبد الواد:

بنو عبد الواد<sup>1</sup> هم فرع من قبيلة زناتة، كانوا يعيشون حياة البداوة والترحال ويجوبون صحراء المغرب الأوسط بمواشيهم وينتقلون ما بين فكيك ومديونة الى جبل بني راشد ومصاب<sup>2</sup> ينقسمون الى عدة بطون منها: بنواكتين وبنوارلو، بنور هطف، نصوحة، بنوتومرت، بنوقاسم<sup>3</sup>.

ولقد اختلف العديد من المؤرخين حول نسبهم، فهناك من أربعهم الى البربر، وهناك من نسبهم الى ادريس بن عبد الله العلوي، حيث افتخر الزيانيون بهذا النسب<sup>4</sup> ولكن عبد الرحمان ابن خلدون فند هذا الاعتقاد في قوله: "ويزعم بنو قاسم هؤلاء انهم من أولاد ادريس وربما قالوا في هذا أنه محمد بن ادريس أو ابن محمد بن القاسم وكلهم من أعقاب ادريس زعما لا مسند له"<sup>5</sup>.

أما سلاطين الدولة الزيانية كان موقفهم ما بين مؤيد أحيانا وصامت أحيانا فالسلطان يغمراسن<sup>6</sup> عندما سئل عن هذا النسب فقال: "ان كان صحيحا فينفعنا عند الله، وأما الدنيا فنلناها بسيوفنا" أما أبي حمو موسى الثاني ومحمد المتوكل فقد أيد

<sup>1</sup> لقبوا ببني عبد الواد: نسبة الى جدهم الذي كان يتعبد في الواد فأطلق عليه هذا اللقب، ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، دار الثقافة: بيروت ط4، 1980، ص205.

<sup>2</sup> لخضر عبدلي، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ابن النديم، للنشر والتوزيع، الجزائر ط1، 2011، ص41.

<sup>3</sup> عبد الرحمان ابن خلدون، العبر ديوان المبتدأ أو الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، دار الكتاب المصري، 1999، ص72.

<sup>4</sup> مبارك بن محمد ميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد ميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د ت)، ص100.

<sup>5</sup> عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص56.

<sup>6</sup> يغمراسن: ان هذا الاسم أمازيغي الاصل إلا أنه اختلف في نقطة ومحل الخلاف في شكل الغين ولكن عبد الرحمان ابن خلدون ضبط اسمه بياء، فغين مفتوحة تتبعها ميم ساكنة، فراء مفتوحة تليها سين مفتوحة فنون ساكنة، يغمراسن وهو مؤسس الحقيقي للدولة الزيانية، ينظر: محمد بن عبد الله تنسي، تاريخ بن زيان ملوك تلمسان، مقتطف من الدر الغيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود أغايو عياد مرقم للنشر، الجزائر، 2011، ص112.

هذا النسب<sup>1</sup> كما هو الحال لحي ابن خلدون والتنسي، حيث قال يحيى بن خلدون: "بنو قاسم من ولد ادريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن طالب"<sup>2</sup>

## ب. تأسيس الدولة:

لقد تأسست الدولة الزيانية جراء الضعف الذي دب في الدولة الموحدية التي بدأت بالانهيار والتفكك، خاصة بعد معركة حصن العقاب بالأندلس (609هـ/1212م) التي مزقت دولة الموحدية<sup>3</sup> أثناء ذلك استغل الحفصيون ذلك وأعلنوا انفصالهم عن الدولة الموحدية سنة (626هـ/1229م)<sup>4</sup>.

وفي هذه الاثناء بدأت الدولة المرينية<sup>5</sup> هي الأخرى بالانفصال عن هذه الأخيرة ولكن بنو زيان بقوا مواليين لهم.

وفي سنة (627هـ/1229م) قام والي تلمسان أبو سعيد عثمان أبو المأون الموحد بالقبض على مشايخ بني عبد الواد في محاولة منه القضاء على النفوذ الذي زاد في المنطقة فسعى للشفاعة فيهم أحد رجال الحامية وهو ابراهيم بن اسماعيل بن علاف الصنهاجي اللمتوني ولكن الشفاعة لم تقبل فغضب لذلك وثار واعتقل والي تلمسان وأطلق سراح مشايخ الزيانيين وتم خلع طاعة الموحدين.

حيث أصبح بني عبد الواد سادة على تلمسان<sup>6</sup> وضواحيها فحاول جابر بن يوسف توسيع نفوذه، فأطاعه الكثيرون ولكن ندرومة<sup>1</sup> أثبت ذلك فخرج إليها وقتل حول

<sup>1</sup> - بسام كامل عبد الرزاق شفدان، تلمسان في العهد الزياني (962-633هـ/1235-1555م) رسالة ماجستير منشورة في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2002، ص54.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 55.

<sup>3</sup> - عبد العزيز سالم، المغرب الكبير ج2، دار النهضة العربية، بيروت، سنة 1981، ص816-817.

<sup>4</sup> - الحفصيون: ينتسبون الى أبي حفص عمر بن يحيى المؤسس الحقيقي لدولة الحفصية بالمغرب الأدنى حيث استقل في افريقية، ينظر: لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص43.

<sup>5</sup> - المرينيون: لقد استقل أبو محمد عبد الحق المريني ضعق الموحدين في سبيل تكوين دولة مستقلة فدارت المعركة قوية بين الموحدين والمرينيين (613هـ/1276م) انتصر فيها الموحدين في معركة شهيرة تسمى بمعركة الشعلة، ينظر: عبد الله طويلب، الروابط الثقافية بين الدولة المرينية وبني نصر في الأندلس (ق 7-10هـ/13-16م)، رسالة ماجستير في التاريخ السياسي والثقافي للمغرب الاسلامي، جامعة بلقايد، تلمسان 2009-2010، ص 34.

<sup>6</sup> - تلمسان: مدينة كبيرة تقع على ارتفاع 830 متر عن سطح البحر، وهي واقعة في سفح مرتفعات جبلية وفي الشمال المدينة يمتد سهل الحناية الشاسع المتصل من ناحية الغرب بسهل مغنية ويحدها من الشمال العربي مرتفع ترارة وجبال فلاوسن وفي الشمال الشرقي مرتفعات السبعة شيوخ

أسوارها وخلفه ابنه الحسن ثم تخلى عن السلطة لعمه عثمان بن يوسف كان يسيء الحكم، فثارت عليه الرعية وأزاحوه من الحكم ثم خلفه ابن عمه زيدان حيث اصطدم بمعارضة شديدة من بعض عناصر القبائل ثم قتل في معركة دارت خارج تلمسان<sup>2</sup> وفي هذه الأثناء قام من الدولة الزيانية رجل نشيط قادر وهو يغمراسن فأعلن نفسه حاكم على تلمسان سنة (633هـ/1236م) حيث تثبت قواعد الدولة الزيانية وجعل تلمسان الجديدة قاعدة للمغرب الأوسط<sup>3</sup>.

### ج. أشهر حكام الدولة الزيانية:

لقد تعاقب على حكم الدولة الزيانية الكثير من السلاطين الذي كان لهم بصمتهم وتاريخهم ومسعاهم للنهوض بهذه الدولة لا يصلها الى ذروة الإزدهار في مختلف ميادين الحياة ونذكر منهم:

#### 1. يغمراسن بن زيان (693-681هـ/1236-1283م):

يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة الزيانية حيث بويع يوم وفاة أخيه أبي عزة زيدان، تميز ببأسه وقوته حيث رتب أمور دولته<sup>4</sup> وقال عنه عبد الرحمان في العبر: "اتخذ الالة ورتب الجنوب والمسالح استلحق العساكر وفرض العطاء واتخذ الوزراء والكتاب وبعث في الاعمال ولبس شارة الملك واقتعد الكرسي ومحا آثار الدولة المؤمنية"<sup>5</sup>

وأخضع القبائل التي خرجت عن طوع اخيه مثل بني مطهر وبني راشد ولكن الخطر واجهه من الشرق ومن الغرب، فمن الجهة الشرقية بنو حفص الذين اعتبروا أنفسهم ورثة الموحدين والجهة الغربية للدولة المرينية<sup>6</sup>.

تميز بالذكاء حيث كان محبا للتجارة التي اعتبرها مورد خير للدولة، فأحسن معاملة التجار لذا ارتفع شأن التجارة في عهده<sup>1</sup>

وتأسلة، ويجري على منحدرات جبال تلمسان عدة أنهار كنهر التافنة، نهر المفروس، ونهر الشولي ونهر أسر ونهر الصفصيف، ينظر: ابن مريم الشريف التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986، ص 8-9.

1- ندرومة: هي مدينة قديمة بنيت على بقعة واسعة في سهل وتبعد بنحو ميلين أي بحوالي 3 كلم من البحر الأبيض المتوسط وكانت لها أسوار قائمة وهي مدينة بطوب الفليط الموثق بالجبر وقد حزبت دورها أثناء الحروب التي دارت بين السلاطين بني عبد الواد وملوك فاس أعيد بنائها من جديد غير لائقة، ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق ج2، ص 13-14.

2- بوزيان الدرامي، نظم الحكم في الدولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 25.

3- ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر ط1، 2001، ص 13.

4- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 78.

5- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 78.

6- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 79.

## 2. أبي سعيد عثمان الأول: (703-681هـ/1283-1304م):

تميز هذا السلطان بالشجاعة وكان باسلاً مقداماً تمتع بالدهاء السياسي، استلم الحكم بعد وفاة أبيه في أوائل شهر ذي الحجة سنة (681هـ-1283م) حيث سعى إلى تنفيذ وصية والده الحكيمة في مسالمة بني مرين ليتفرغ إلى بناء صرح دولة البدو الوادية حيث جمع قواه من حوله فخاطب أولاً سلطان تونس<sup>2</sup> أبي إسحاق<sup>3</sup> حيث بعث إليه البيعة فراجعته هذا الأخير بالقبول ثم خاطب يعقوب عبد الحق<sup>4</sup> يطلب منه السلم حيث اجتمع مع محمد بن يغمراسن وعقد له من السلم ما أحب وكافأ محمد بن يغمراسن راجعاً إلى أخيه<sup>5</sup>

وبدأ بتوسيع حدود دولته فأخضع سائر بلاد مغراوة<sup>6</sup> وكذلك بلاد توجين أصبحت تابعة له<sup>7</sup>

## 3. السلطان أبي زيان محمد الأول: (707-703هـ/1304-1308م):

تميز بالنشاط والثقة بالنفس استلم الحكم أثناء الحصار المريني الطويل الذي دام 5 سنوات، حيث عانت الدولة الزيانية أثناء هذا الحصار الويلات من الجوع والمجاعة وهلاك وارتفاع الأسعار<sup>8</sup>

<sup>1</sup>- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص10.

<sup>2</sup>- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص86.

<sup>3</sup>- هو أبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر أما إسحاق إبراهيم الثاني هو سلكان الحفصي الرابع عشر ولد في ربيع الأول 737هـ/1336م، وتوفي 12 رجب 770هـ/1369م، ينظر: ابن خلدون العبر ج13، ص189.

<sup>4</sup>- هو يعقوب بن الحق أبو يوسف المريني ولد عام ست مائة وتسعة هجري، نشأ ببلاد المغرب في قبيلة مرينية توفي في الجزيرة الخضراء من الأندلس يوم الثلاثاء الثاني والعشرين لمحرم سنة خمس وثمانين وست مائة وهو في 75 سنة، ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة بأخبار غرناطة، ج1 تحقيق محمد عبد الله عنان، الشركة الوطنية للطباعة والنشر، القاهرة 1393هـ/1973م، ص168.

<sup>5</sup>- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص87.

<sup>6</sup>- بلاد مغراوة: هم من إحدى قبائل زناتة من السلالة البربرية وهم من القبائل الأولى اعتناقاً للإسلام، ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون المصدر السابق، ص180.

<sup>7</sup>- بلوتوجين الزناتيون يحتلون مرتفعات ونشريس والجبل حتى المدينة، ينظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ج2، تحقيق جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1904، ص124-125.

<sup>8</sup>- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص86.

وبعد انقضاء هذا الحصار سعى أبي زيان وأخوه موسى باسترجاع الدولة من السيطرة المرينية، فقد تغلغت جيوش بني العبد الواد في الأراضي الحفصية شرقاً وبلغت بجاية وقسنطينة وعنابة، كما وصلت مدينة تونس عاصمة الحفصيين، ولكنه أصيب بعد ذلك بمرض توفي في 21 شوال (707/1308م)<sup>1</sup>

4. صراعاتهم مع جيرانهم:  
أ. مع المرينيين:

كانت تلمسان عاصمة المغرب الأوسط وكانت كلا من الدولة الحفصية من الجهة الشرقية والدولة المرينية من الجهة الغربية وكل دولة تريد التوسع على حساب الدول الأخرى وتميزت العلاقة المرينية والزيانية بالعداء وعدم الاستقرار بسبب المحاولة إخضاع تلمسان حيث حرص ملوك تلمسان المحافظة على الاستقرار<sup>2</sup> وسعى السلطان أبو حمو موسى الامداد للصلح مع المرينيين وأخضع العديد من القبائل وأمد سيطرته على مدينة الجزائر<sup>3</sup> ودلس<sup>4</sup> ثم بسط نفوذه الى اقليم زاب<sup>5</sup>.

وفي هذه الأثناء حاول السلطان المريني أبو سعيد عثمان احتلال مدينة تلمسان فقاد حملة عسكرية عبر بها تازا ووجدة<sup>6</sup> ونزل بضواحيها ولكنه فشل في الدخول إليها واضطر الى الانسحاب فاغتنم أبو حمو موسى هذه العزمة وقضى على الوجود المريني في المغرب الأوسط وفي قصر<sup>7</sup> عمي موسى<sup>8</sup>.

<sup>1</sup>- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وأثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1902، ص19.

<sup>2</sup>- عبد العزيز نيالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر، الجزائر 2011، ص15.  
<sup>3</sup>- الجزائر: كانت تسمى قديما "يسكوم" ثم استوطنتها قبيلة تدعى بن مزغنة وفي القرن الرابع هجري أسسها بلكين بن زيري ودعها "جزائر بن مزغنة"، ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق ج2، ص37.  
<sup>4</sup>- دلس: هي مدينة ساحلية وتحيط بها أسوار قديمة فيها أراضي زراعية تنتج القمح إشتهر سكانها بصباغة، وعزف العود، ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار الكتب البلدية الجزائر، 1962، ص203.  
<sup>5</sup>- إقليم الزاب: يقع في منطقة سهلية واقعة بين جبال اولاد نايل غربا وجبال الاوراس شرقا، منها بكرة طولقة، ينظر: التنسي، المصدر السابق ص285.  
<sup>6</sup>- وجدة: مدينة قديمة على بعد 60 كلم غربي تلمسان كانت تابعة لمملكة بني عبد الواد وهي اليوم المغرب الأقصى، ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص285.

<sup>7</sup>- عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص17.  
<sup>8</sup>- قصر عمي موسى: تحول هذا القصر الى قرية بهذا الاسم جنوب شرق إدريهوا ينظر: يحيى بوعزيز "المراحل والأوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية" محلية الأصالة، الجزائر، السنة 4، العدد 26، 1975، ص17.

ولكن تأمر عليه ابن ابو تاشفين<sup>1</sup> بسبب صرامته وقوته, فثار عليه ليتولى الحكم سنة (718هـ/1318م), كان طموحا سريعا الى الحركة فقد عسكر على جوانب بجاية وبني محله في موضع<sup>2</sup> تمزديكت<sup>3</sup> واشتد خوف الحفصيين وسعوا الى التحلف معه ضد بني مرين, فوجد أبا تاشفين نفسه أمام عدوين من الناحيتين الشرقية والغربية, فكانت الفترة الأولى (760هـ/1359م) غادر خلالها عاصمته لمدة 25 يوما والثانية كانت (761هـ/1360م) حيث تمكنت الدولة المرينية من احتلال تلمسان أكثر من سنتين, أما الغزوة الرابعة كانت (781هـ/1383م) خرج فيها السلطان أبو حمو لاجئا الى الصحراء الى غاية سنة (783هـ/1385م) حيث تمكن من العودة الى بلاده وارتقاء عرشه فكان يبحث عن فرصة المتاحة لتحرير بلاده

لقد كان اعظم امير ظهر في الدولة الزيانية لكن المريض آثاروا عليه ابنه تاشفين الذي سجنه بوهرا<sup>4</sup> ولم يلبث أبوتاشفين طويلا في الحكم حتى نازعه اخوه أبوزيان ودارت معركة بينهم في مدينة الجزائر, وقيام المنتصر المريني باحتلال تلمسان والمناطق الشرقية ولم يخرج بني مرين إلا بعد وفاة سلطانهم فاضطر ولي العهد أن يعود الى عاصمة بلاده لاستلام العرش 796هـ/1395م وأطلق سراح أبي زيان بن أبي حمو الثاني وأرسل مع حامية مرينية الى تلمسان فبويع للملك في ربيع الثاني سنة (796هـ/1395م) فعاد الكيان الزياني تحت النفوذ المريني<sup>5</sup>.

### ب. مع الحفصيين:

بسبب الصراع الزياني الحفصي هو زعم الحفصيين أنهم ورثة الدولة الموحدية بافريقية, ولذا كانوا أشد الطامعين في سيادة تلمسان وإزاحة بني عبد

<sup>1</sup> أبو تاشفين: بن أبي حمو موسى الأول أحد سلاطين الدولة الزيانية تولى الحكم في 23 جمادى (718هـ/1318م), ينظر: لخضر عبدلي, المرجع السابق, ص88.

<sup>2</sup> عبد العزيز فيلاي, المرجع السابق, ج1, ص58.

<sup>3</sup> تمزديكت: واقعة في الحد بين الصحراء أنحاء بلاد المغرب لاتخذها سلاطين عبد الواد مكان الحراسة وتأهب الدفاعي لحراسة الأماكن التي يمر بها الجيش المريني, ينظر: حسن الوزان, المصدر السابق ج2, ص11.

<sup>4</sup> وهران: مدينة ساحلية على شاطئ بحر الروم, تبعد عن تلمسان بحوالي 140 ميلا, ينظر: حسن الوزان, المصدر السابق, ج2, ص30-31.

<sup>5</sup> عبد العزيز فيلاي, المرجع السابق, ص60-61.

الواد, جهز بنو حفص حملة لاعادة اخضاع<sup>1</sup> مدينة مليانة<sup>2</sup> سنة (659/1260م) ولكن استولى عليها يغمراسن سنة (668/1269م), ثم خرجت مدينة الجزائر عند النفوذ الحفصي سنة (664/1265م) وما يكد طبيعة العلاقة بين الزيانيين والحفصيين الى نهاية يغمراسن بن زيان نجده في وصية لابنه وخليفته عثمان.

حيث أوردها ابن خلدون نقلا عن شيوخه, على لسان الحاكم الزياني أبي حمو موسى بن عثمان (707-718هـ/1307-1318م) قال: حاول ما استطعت في الاستيلاء على ما جاورك من عملات الموحدين الحفصيين ومملكهم يستفحل به ملك وتكافئ جيش العدو ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معتلا لذكيرتك.

ويمكن القول أن سياسة يغمراسن على جيرانه الحفصيين تميزت بصراع الدائم, بحيث تضاربت أفكار يغمراسن وبنو حفص يرون التوسع غربا ويغمراسن يريد التوسع شرقا<sup>3</sup>.

لقد هدا الصراع الحفصي بسبب المصاهرة وهذا ليضمن يغمراسن استقرار دولته الفتية من الخطر الحفصي, خاصة أن الامر كان يعني المساس بسيادة الدولة العبد الوادية ولو لم يكن الامر يتعلق بالسيادة والدفاع عن حد والدولة ماكانت السياسية العسكرية هي السمة البارزة في علاقات يغمراسن مع الحفصيين<sup>4</sup>.

ولكن سرعان ما تأجج الصراع بين الدولتين واستطاعت الدولة الحفصية احتلال تلمسان في شوال (639/1241م) بعدها عجزت عن حماية أسوارها فلا يتمكن المقاتلون الصمود أمام الحفصيين فقد قتلوا النساء والصبيان, ونهبوا الأموال, وأصبحت تلمسان تابعة لهم<sup>5</sup>.

## 5. أسباب سقوط دولتهم:

ساهمت العديد من المشكلات والاضطرابات في اضمحلال وسقوط دولة بني عبد الواد أهمها:

<sup>1</sup> - خالد بلعربي, الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان دراسة تاريخية وحضارية (651-633هـ/1235-1282م), مكتبة الريان تلمسان, الجزائر, ط1, 2005, ص108.

<sup>2</sup> - مليانة: هي مدينة أسسها بلكين بن زيري في القرن الرابع هجري, وهي تقع في سفح جبل زكار الغربي, وكانت محاطة بأسوار عالية عتيقة, ينظر: حسن الوزان, المصدر السابق, ص35-36.

<sup>3</sup> - خالد بلعربي, المرجع السابق, ص109.

<sup>4</sup> - نفسه, ص110.

<sup>5</sup> - عبد الحميد حاجيات, المرجع السابق, ص80.

- النزاع الداخلي بين أبناء الأسرة الحاكمة من أجل الوصول الى الحكم.
- صراعهم مع جيرانهم المرينيين والحفصيين استنزف طاقاتهم.
- ظهور دويلات على الساحل انفصلت عن قلب الدولة في تلمسان.
- مجيء الغزو الصليبي الاسباني واحتلالهم بجاية سنة (910هـ/1504م) ثم استيلائهم على وهران, ثم سعيهم للاستيلاء على الجزائر وعجز بني عبد الواد للتصدي لهم.
- ظهور على الساحل مجاهدون مسلمون الذين ينتمون الى الدولة العثمانية وكان على رأسهم خير الدين بربروس الذي استطاع أن يضع حدا للعدوان الاسباني وانتهى الأمر بزوال دولة بني عبد الواد في عام(962هـ/1554م)<sup>1</sup> على يد الوالي صالح الرئيس<sup>2</sup> وبالتالي دخول المغرب الأوسط تحت الحكم الاسلامي العثماني والذي استطاع هزم الاسبان<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- علي محمد الصلابي, تاريخ دولتي المرابطين والموحدين, دار المعرفة, بيروت, لبنان, ط4, 1432م, ص405.

<sup>2</sup>- عبد الرحمان الجيلالي, المرجع السابق, ج2, ص229.

<sup>3</sup>- علي محمد الصلابي, المرجع السابق, ص406.

## الفصل الأول: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني

### 1:عوامل قيام الحركة العلمية:

#### أ-عناية السلاطين و تشجيعهم :

لقد اعتنى سلاطين الدولة الزيانية بالعلم والعلماء ولقد اتبعوا سياسة مشجعة للعلوم العقلية والنقلية, ولقد عرف ملوك بني زيان بجهودهم المستمرة في انتعاش الحياة العلمية واهتمامهم بالاداب والفنون<sup>1</sup>.

وكان السلطان يغمر اسن أول من دشّن تشجيع الحركة الفكرية والتعليمية بتلمسان ورغب رجال العلم في القدوم الى عاصمته, وأغرق عليهم الاموال والهدايا والجرايات وأعلى منزلتهم<sup>2</sup>.

ولقد استقر في عهده بمدينة تلمسان الشيخ العالم أبو اسحاق ابراهيم بن يخلف التنسي

(ق 680هـ/1306م) وهو كبير زمانه<sup>3</sup>, وسار الملوك بني زيان على نهج السلطان يغمر اسن حيث قاموا بأعمال الوقف والانفاق على العلماء وغراقهم بالهدايا, كما عمل السلطان أبوزيان محمد الثاني(801هـ/1398م) على حث العلماء على تأليف الكتب ونسخها<sup>4</sup>.

أما أبو حمو موسى (718-708هـ/1308-1318م) فقد جعل مدينة تلمسان وجهة العلماء وسعى لجلب الفقهاء ومنهم الاخوين ابنا الامام<sup>5</sup>.

أما في عهد أبوتاشفين الأول (737-718هـ/1318-1337م) إشتهر العديد من العلماء في عهده<sup>6</sup>, أمثال الشيخ الفقيه أبي موسى بن عمران البجاتي<sup>1</sup>

1- بسام شقّان, المرجع السابق, 225.

2- عبد العزيز فيلاي, المرجع السابق, ج2, 321.

3- أبو اسحاق ابراهيم بن يخلف التنسي: ارتحل الى المشرق وأخذ المنطق والجدل والكلام وغيرها من العلوم ثم عاد الى رأسه ودرس بتنس ومليانة, قرأ بمدينة تلمسان, توفي سنة (680هـ), ينظر: عبد الحميد حاجيات, المرجع السابق, ص56. عبد العزيز فيلاي, المرجع السابق, ج2, ص329-330.

4- عبد الحميد حاجيات, المرجع نفسه, ص115. , المرجع السابق, ج2, ص329-330.

5- ابنا الامام: هما أبوزيد عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله ابن الامام أكبر الأخوين لابن الامام وأصلها من برشك رحلا الى تونس لطلب العلم مارسا مهنة التعليم بالجزائر ومليانة, ينظر: عبد الحميد حاجيات, المرجع السابق, ص59.

6- عبد العزيز فيلاي, المرجع السابق, ج2, ص322.

تـ(1345/هـ745م) وعائلته بني ملاج وقاضي الجماعة أبو عبد الله محمد المنظور المعروف بابن هدية تـ(1335/هـ735م)<sup>2</sup> الذي تولى القضاء بتلمسان وكتابة السر والخطابة في المسجد الجامع<sup>3</sup>, ومع مجيء أبو حمو موسى الثاني (1357/هـ357م) – (1389/هـ791م) الشاعر الأديب وله كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك حرص على حضور مجالس الفقه والدين ومشاهدة المناظر العلمية, فكان عصره من أزهى العصور الدولة ازدهرت تلمسان خلالها حضاريا وثقافيا<sup>4</sup>

### ب-الرحلة العلمية:

تحدث عبد الرحمان ابن خلدون عن الرحلة العلمية وتنقل الدارسون لطلب العلم والاستفادة من المشايخ والعلماء حيث قال: "إن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتجلون من المذاهب والفضائل تارة علما وتعلما وإلقاءً وتارة محاكاة وتلقينها مباشرة إلا أن الحصول الملكات عن المباشر والتلقينا أشد استحكاما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة شيوخ يكون الحصول الملكات رسوخا"<sup>5</sup>

إلا أن الطلبة لم يكتفوا بالعلوم التي يتلقونها في مدنهم, حيث بادروا بالترحال من أجل طلب العلم على يد مشايخ وأساتذة من مختلف أقطار المغرب والاندلس وحتى المشرق وذلك من أجل التعمق في مختلف العلوم, على الرغم من مشقة السفر, ولكن سعي الطلاب الى البحث عن العلم ضلل لم كل ذلك. حيث احتك علماء المغرب الاوسط بعلماء المغرب والاندلس وبذلك أصبحت تلمسان مركزا علميا يضاهي مراكز الثقافة مثل: فاس وتونس ولقد زاد هذا الاشعاع العلمي بين

<sup>1</sup> - أبو موسى المشداني البجاتي: ولد عام (1271/هـ670م) نشأ ببجاية وارتحل الى مدينة الجزائر ثم الى تلمسان حيث كان يدرس الفقه والحديث والمنطق والفرائض وبقي بها الى أن توفي عام (1344/هـ745م), ينظر: عبد الحميد حاجيات, المرجع السابق, ص68.

<sup>2</sup> - أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية, هو من نسل عقبة بن نافع الفهري كان فقيها أدبيا وكاتباً, أنشأ ديوان الرسائل في عهد أبي حمو الأول, ينظر: عبد الحميد حاجيات, المرجع نفسه, ص70.

<sup>3</sup> - عبد العزيز فيلاي, المرجع السابق, ج2, ص322.

<sup>4</sup> - عبد الحميد حاجيات, المرجع السابق, ص245-255.

<sup>5</sup> - المقدمة, دار الكتاب, بيروت, ط3, ص437.

القرنين (8و9هـ) وأصبحت تلمسان كذلك قبلة العديد من العلماء وذلك لاستكمال علومهم لما كان يدرس فيها من طب ورياضيات, موسيقى وغيرها من العلوم<sup>1</sup> حيث حرص السلاطين بني زيان على تمتين العلاقة مع أهل المغرب والمشرق والأندلس عن طريق تبادل الرسائل الديوانية والإخوانية وعن طريق الرحلة العلمية الحج والبقاع المقدسة, فنتج عن ذلك ترابط فكري بين علماء تلمسان وعلماء الحواضر الإسلامية في المشرق على الرغم من التجزئة السياسية التي عرفتھا الأقطار السياسية<sup>2</sup>.

حيث أن الطلاب كانوا لا يكلون عن السعي في سبيل العلم وتحصيل وتبادل الآراء بمختلف العلوم العقلية والنقلية وتبادل المعارف والكتب وتبادل الاجازات اعترافا متبادلا بينهم.

ولقد تنقلوا الى كلا من تونس لتحصيل العلم بجامع الزيتونة وفاس الى جامع القرويين من فقهاء غرناطة وبجاية, وجامع الأزهر بالقاهرة, وكذلك زادوا معاهد الشام وبغداد لتعمق في مختلف العلوم ودراسة الفقه وأصوله والتعرف على المدارس النحوية واللغوية والحديث والتفسير وغيرها من علوم العصر<sup>3</sup>.

### ج-الهجرة الأندلسية وتأثيرها في المجال الثقافي:

لقد استقبلت تلمسان الأندلسيين وسمحت لهم بابرار قدراتهم في مختلف مجالات الحياة, حيث رسمت ملامح التراوح الحضاري بين الشعبين وورثت تلمسان مجد قرطبة<sup>4</sup> لقد تميز الاندلس بعلمائه الذي كانوا يكثررون رحلاتهم العلمية الى المغرب الأوسط ومع سقوط غرناطة استقرت العديد من الأسر الأندلسية بتلمسان وزاولت

<sup>1</sup> - لخضر عبدلي, المرجع السابق, ص224.

<sup>2</sup> - عبد العزيز فيلاي, المرجع السابق, ج2, ص327.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه, ج2, ص327.

<sup>4</sup> - فاطمة عبد الهادي: التأثير الحضاري الأندلسي في تلمسان (962-633هـ/1235-1554م) رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي, جامعة مولاي الطاهر, سعيدة, 2013-2014, ص57.

العلم ومنها أسرة العقباني<sup>1</sup> التي أنجبت العالم بلقاسم الكبير قاسم بن سعيد العقباني (ت 854هـ/1450م)<sup>2</sup>.

حيث اضفى هؤلاء العلماء حياة ثقافية على المدينة, فأصبحت تلمسان تعج بمحدثين وفقهاء والأدباء والخطباء وظهرت حركت التأليف ونسخ الكتب<sup>3</sup>.

كما ادخل الأندلسيون على التعليم أساليب جديدة وقال عن ذلك عبد الرحمان ابن خلدون: "أما أهل افريقية فيخلطون في تعليمهم الولدان القرآن بالحديث في الغالب, ومدارسه قوانين وتلقيب بعض مسائلها في تعليم القرآن أقرب الى طريقة أهل الأندلس."<sup>4</sup>

## 2-التعليم في تلمسان :

يعتبر العصر الزياني من أزهى العصور في المغرب الإسلامي حيث ازدهرت العلوم وانتشر التعليم وصلت هذه الدولة الى أوج أمجادها الفكري والعلمي, حيث برز جيل من العلماء الذين ساهموا في ازدهار الدولة الزيانية في مختلف المجالات.

## أ-مراحل التعليم وطرقه :

### \*المرحلة الأولى :

<sup>1</sup> - مبحوث بودارية, العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان العربي في عهد بني زيان, سلسلة دكتوراه في التاريخ الاسلامي, جامعة ابوبكر بلقايد, تلمسان, 2004-2005, ص64.

<sup>2</sup> - قاسم بن سعيد (854هـ/1450م) درس مدينة تلمسان ثم سافر في طلب العلم الى ديار المصرية فحضر المجالس العلمية التي كان يديرها الشيخ العالم ابن حجر بمصر والقاهرة, فأجره محضر دروس البساطي وانتفع بها كثيرا ثم عاد الى بلاده بدرجة علمية معتبرة, ينظر: عبد العزيز فيلالى, المرجع السابق, ج2, ص335.

<sup>3</sup> - فاطمة تومي, المرجع السابق, ص58.

<sup>4</sup> - المقدمة... المصدر السابق, ص120.

وهي المرحلة الابتدائية وكان الهدف من هذه المرحلة تحفيظ القرآن وبعض مبادئ الحساب والحروف الهجائية والكتابة تدريجيا وكانت تتم في الكتاتيب حيث يدخل الصبيان الكُتّاب في سن مبكرة ما بين الخامسة والسادسة, ويتبعون برنامجا طوال أيام الأسبوع, ويفتحون يومهم بحفظ القرآن منذ الصباح حتى وقت الضحى, ويتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر, وكانت حصة المساء مخصصة للتدريس ببقية المواد حسب المقرر الدراسي الذين يسيرون وفقه<sup>1</sup>.

وكانت نفقة التعليم في الكُتّاب قبل القرن (7/13م) يتحملها أولياء الأطفال لأن الدولة انذاك لم تكن تتدخل في شؤون التعليم بالكُتّاب<sup>2</sup>.

كما أن المعلم أو المؤدي كما كان يسمى يعلم التلاميذ الصلاة ابتداء من سن السابعة ويضربهم عليها في سن العاشرة وكان يقوم بهذه المهمة معلمون من حفظة القرآن الكريم, ولكن يجب توفر فيهم شروط أساسية للتجويد كالإظهار والإخفاء والادغام والقيام بالوظيفة على احسن حال, مثل احتمال أخلاق الصبيان وأن يكون على علم بأحوال الصبيان من النباهة والبلادة, وأن يتصفوا بأخلاق حميدة<sup>3</sup>.

### -المرحلة الثانية :

وهي المرحلة الثانوية فبعد أن يكون الطالب أتم حفظ القرآن الكريم وألم بمبادئ العلوم الضرورية كالكتابة والقراءة واللغة العربية والدراسة في هذه المرحلة تتسم بحرية الطالب في اختيار المواد الدراسية وهو غير مقيد بمقرر دراسي سنوي, لأنه لا توجد وصاية أو سلطة تعرض عليه برنامجا محددا, ويختار المواد التي يميل إليها وحسب طاقاته وإمكانياته الفكرية ويتتلمذ على الأستاذ الذي يثق فيه وفي كفاءته<sup>4</sup>.

وكان يشرف على تدريس الطلاب أساتذة متخصصون في مختلف المواد العلمية النقلية والعقلية, وكان السلاطين بني زيان يشرفون شخصا على تعيينهم ودفع أجورهم وكان هؤلاء الأساتذة يتمتعون بغزارة العلم والمعرفة<sup>5</sup>.

### ب-طرق التدريس:

1- لخضر عبدلي, المرجع السابق, ص219.  
2- عبد العزيز فيلاي, المرجع السابق, ج2, ص344.  
3- المرجع نفسه, ج2, ص ص 344-345.  
4- عبد العزيز فيلاي, المرجع السابق, ج2, ص347.  
5- لخضر عبدلي, المرجع السابق, ص220-221.

تميزت تلمسان عن غيرها من الحواضر الاسلامية في وجود طرق مختلفة لتدريس وهي كالتالي:

### 1-الطريقة الأولى :

تسمى هذه الطريقة بالطريقة القديمة, حيث يقوم الطلبة بتدوين كلما يسمعون من معلومات من المعلمين دون نقاش أو تحليل أو حتى استعراض, فيأتون بالكتب التي ينقل منها, وينظرون حيث نقله عنها, فلا يغيرون منها حرفا فهذه الطريقة تجعل الطالب وعاء يملؤه الأساتذة بالمعلومات المختلفة دون أن يكون له فرصة اعتراض أو مراجعة أو نقاش.<sup>1</sup>

### 2- الطريقة الثانية:

وهي التزام بكتاب معين مما يسمى بالمصنف ويتولى شرحه الأستاذ فقرة بفقرة والطلبة يسجلون ما يرونه مهم من شرح الأستاذ وأجوبته.<sup>2</sup>

### 3-الطريقة الثالثة:

وتعد هذه المرحلة المرحلة الأخيرة, حيث تكون مهمة الأساتذة الاشراف فقط على أبحاث الطلبة, حيث يسمح الطالب الوصول الى المعرفة وبالتالي يتعود طالب الإستنباط التشريح من الأصول, ويكونون جاهزين لشد الرحال لتنتقل من بلد لآخر في سبيل العلم, حيث كانت تدرس في هذه المرحلة العلوم التالية: علم القراءات وعلوم الدين من تفسير وحديث وفقه والعلوم العقلية والاجتماعية والآداب وغيرها بمزيد من التعمق والتفصيل وذلك بالمسجد الأعظم بتلمسان.<sup>3</sup>

### - العلوم التي كانت تدرس:

تنقسم العلوم التي كانت تدرس داخل تلمسان الى نوعين:

**النوع الأول: 1-العلوم النقلية:** هي العلوم المختصة بالمسلمين وهي مستندة الى الشرع مأخوذة من الكتاب والسنة.

---

<sup>1</sup>- بسام كامل, شقدان, المرجع السابق, ص223.

<sup>2</sup>- لخضر عبدلي, المرجع السابق, 443.

<sup>3</sup>- عبد الحميد حاجيات, المرجع السابق, ص121.

**العلوم الدينية:** وتسمى كذلك بالعلوم الشرعية وهي العلوم تأخذ من القرآن والسنة أساساً لها، وهي تفسير الحديث والفقه وأصوله العقائد علم الكلام والتصرف والمراد من دراستها معرفة الاحكام الشرعية ومقاصدها وفوائدها والعمل على تصحيح معتقداتهم وإتقان عبادتهم، قد مكنت دراستها الطلبة من الحصول على وظائف هامة في القضاء.<sup>1</sup>

ازدهرت العلوم النقلية في تلمسان، وكثر اقبال الطلبة عليها، لأنها تمكن الطلبة من الحصول على وظائف ومناصب هامة، سواء في القضاء أو الخطابة أو الدواوين الإدارية وغيرها من مناصب ادارية.<sup>2</sup>

**علوم التفسير والقرآن:** اهتم أهل تلمسان بالقرآن الكريم حفظه ودراسته وتفسيره فكانوا يدرسون في المساجد والكتاتيب والمدارس، ولقد اهتموا به كونه كلام الله المنزل على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، غير أن الصحابة رويوه عن الرسول عليه الصلاة والسلام عن طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها واشتهر بسيعة قراءات.<sup>3</sup>

**علم الحديث:** يعد المصدر الثاني بعد القرآن الكريم ويراد به حفظ عن النبي عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير، حيث يقول ابن خلدون: "ان علم الحديث كثيرة ومتنوعة"<sup>4</sup>، ولقد اهتم الزيانيون بعلم الحديث حيث توسعوا في دراستها حيث برز العديد من الشيوخ مثل الفقيه اسحاق بن ابراهيم التنسي (ت—680هـ/1281م) وغيره من العلماء في هذا المجال.<sup>5</sup>

**علم الفقه واصوله:** عرف الزيانيون باتباعهم المذهب المالكي، كثرة عدد درّاسيه ومدرسيه، وكثرة الصنفات حيث اعتبرت فيما بعد مصادر ومراجع يقبل عليها الطلاب المبتدئون وأهم الفقهاء أحمد بن أبي حجلة تلمساني(ت—776هـ/1374م) الذي ألف مايزيد عن ثمانين كتاباً في الحديث والفقه والأدب.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> نفسه، ص439.

<sup>2</sup> بسام شقدان، المرجع السابق، ص230.

<sup>3</sup> شاكور مصطفى، موسوعة دول العالم العربي ورجالها، ج2، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 1993، ص123.

<sup>4</sup> عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المرجع السابق، 443.

<sup>5</sup> عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج2، ص443.

<sup>6</sup> الحفناوي أبو القاسم محمد، تعريف الخلق برجال السلف، تحقيق: محمد أبو الاجفاف، مؤسسة الرسالة، بيروت المكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1922، ص132.

## 2-العلوم العقلية:

نظرا لتقدم الكثير الذي عرفته الدولة الزيانية في الميدان الاقتصادي, حيث قدم العديد من العلماء اليها واستقروا بها والزاد والرحلات العلمية, وعرفت هذه العلوم اقبالا بتلمسان في هذه الفترة ومن هذه العلوم نذكر التاريخ والعلوم العديدة, وعلم المنطق وعلم الفلك وغيرها.<sup>1</sup>

**1-علم التاريخ:** هو فن عزيز المذهب شريف الغاية, يطلعنا على احوال الماضين في أخلاقهم, والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم فهو يعتبر من أهم العلوم الاجتماعية والانسانية بوصفه مدرسة للحكام والشعوب يستمدون جميعا منه الدروس التي تساعد على مواجهة مشاكل الحاضر والتخطيط لمستقبل أفضل.<sup>2</sup>

**2-العلوم العددية:** تلعب العلوم العددية دورا هاما في مجال العلوم العقلية وغيرها من العلوم التي لا غنى لها عن الرياضيات التي يعرفها ابن خلدون حيث يقول:

**"معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف اما على التوالي أو بالتضعيف**

**..."**<sup>3</sup>ومن فروعها علم الحساب والجبر والهندسة والمعاملات والفرائض ومن بين المصنفات التي كانت تستخدم في العلوم العددية "تلخيص أعمال الحساب" لابن البناء من خلف الكلامي الاسبيلي (تـ588هـ/1995م), كما نظم الونشريسي (تـ955هـ/1549م) أرجوزة في تلخيص أعمال الحساب ومن بين من برز في علم الحساب الشيخ بن محمد المانوي المعروف بأبي الحاج.<sup>4</sup>

**3-علم المنطق:** عرفه عبد الرحمان ابن خلدون قائلا: "هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود لمعرفة الماهيات والحجج المفيدة للتصديقات"<sup>5</sup>, وقد برز في العهد الزياني من اهتم

<sup>1</sup>- عبد الرحمان ابن خلدون, المقدمة, المصدر السابق, ص376.

<sup>2</sup>- لخضر عبدلي, المرجع السابق, ص325.

<sup>3</sup>- عبد الرحمان ابن خلدون, المقدمة, المصدر السابق, ص170.

<sup>4</sup>- عبد العزيز فيلاي, المرجع السابق, ج2, ص475.

<sup>5</sup>- عبد الرحمان ابن خلدون, المقدمة, المصدر السابق, ص178.

بهذا العلم, فقد شرح ابن عباس التلمساني (تـ 871هـ/1466م) كتاب الجمل  
للخونجي وصنف سعيد العقباني شرحا يحمل الخونجي وشرح القلصادي كتاب  
الاساغة جي في المنطق<sup>1</sup>

**4- علم الفلك:** ومن بين من برز في هذا الميدان الفقيه العالم الزياني محمد بن أحمد  
التلمساني المعروف بالحباك الذي تميز بتدريس علوم الأسطرلاب ووضع فيه  
أرجوزة سماها بغية الطلاب في علم الاسطرلاب وبالتالي فهذه العلوم اشتملت على  
التنجيم والكيمياء والرياضيات.<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup>- عبد العزيز فيلاي, المرجع السابق, ج2, ص448.  
<sup>2</sup>- المرجع نفسه, ص477.

## الفصل الثاني: الوقف في التاريخ الاسلامي

قبل التطرق إلى موضوع المغرب الاسلامي ودوره في الحياة العلمية كان لابد علينا دراسة مفهوم الوقف ومدى مشروعيته والشروط المتعلقة به, حيث وجدنا من غير الممكن أن دراسة موضوع الوقف دون أن نمهد له بهذا الفصل ليكون بكمثابة أرضية تمهد الفصل الموالي.

### 1-تعريف الوقف أو الحبس:

#### أ-لغة:

جاء في لسان العرب لابن المنصور: الوقف مصدر قولك ووقفت الدابة أو وقفت الكلمة وقفا وهذا مجاور, فإذا كان لازما ووقفت وقوفا ... ووقفت الأرض على المساكين وفي الصحاح المساكين وقفا حبسها<sup>1</sup>

الحبس والوقف يتضمنان معنى الإمساك والمنع فهو بمثابة إمساك عن الإستهلاك أو البيع أو سائر التصرفات, والمكث بالشيء عن كل ذلك, وهو أيضا إمساك المنافع والقواعد ومنعها عن كل أحد أو غرض غير ما أمسكت أو أوقعت عليه.<sup>2</sup> إن لفظتي الحبس والوقف يعني المنع إما استعمال لفظت أوقفت يدل وقفت اعتبرت لغة رديئة حينما تعني بها حبست, بينما تعني لفظة أوقفت سكت أو اقلع, كما تعني أطلع.<sup>3</sup>

### -\*إصطلاحا في اصطلاح الفقهاء:

للموقف عدة تعاريف تختلف من حيث الصياغة غير أنها تتفق في المضمون وهذا التفاوت يرجع إلى زيادة في القيد أو الشرط من تعريف إلى آخر.

<sup>1</sup>- ابن منظور لسان العرب المحيط , مج6, تحقيق: عبد الله الهلالي ويوسف خياط, دار الجبل, بيروت, 1408هـ/1980م, ص996.

<sup>2</sup>- منذر كحف, الوقف الاسلامي تطوره, إدارته, تنمية, دار الفكر, بيروت, لبنان, ط1, 2000, ص55.

<sup>3</sup>- عبيد بوداود, الوقف في المغرب الاسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع هجريين ق(13-15م) ودوره في الحياة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية, مكتبة الرشاد, الطباعة والنشر الجزائر, ط1 د 1432 / 2011, ص40.

لقد اختلف الفقهاء في معنى الوقف اصطلاحاً إذا عرفوه بتعاريف تبعا لاختلاف هذا هبهم. ومن حيث لزومه وعدم لزومه. وشروطه من حيث القرابة والجهة المالكة وكذلك اختلافهم في كيفية إنشائه. هل هو عقد ام اسقاط؟<sup>1</sup>

حيث قال الحنفية: "هو حبس العين على الحكم الملك الواقف والتصدق بالمنفعة". المالكية: "إعطاء منافع على سبيل تأييد<sup>2</sup> مدة وجوده لازماً بقاؤه في ملك معطية ولو تقديرًا"<sup>3</sup>.

الشافعية: "حبس مال يمكن الانتفاع به مع عينة بقطع التصرف في رقبة على مصرف مباح موجود".

الحنابلة: "هو تحبیس مالک مطلق التصرف ماله المنتفع به مع بقاء عينة بقطع تصرفه"<sup>4</sup>.

كما يعرفه الأستاذ محمد أو بوزهرة: هو منع التصرف في رقبة العين التي يمكن الانتفاع بها مع بقاء عينها وجعل المنفعة بجهة من جهات الخير الابتداء والإنتهاء.<sup>5</sup>

### ب-مشروعية الوقف:

لقد عرفه المجتمعات منذ القدم الحبس أو الوقف ومارسوه بمختلف الأشكال حيث أجازوه بعد التأكد من مشروعيته من القرآن الكريم والحديث وأقوال الصحابة.<sup>6</sup>

<sup>1</sup>- عبد المنعم صبحي أبو شعيشع، نظام الموقف في الإسلام وأثره في الدعوة إلى الله، دار الجامعة الجديدة، السعودية، 2007، ص10.

<sup>2</sup>- ياسين ابن ناصر الخطيب، أثار الوقف في نشر التعليم والثقافة، رابطة العالم الإسلامي، مكة 1422هـ، ص277.

<sup>3</sup>- عبد المنعم صبح، المرجع السابق، ص17.

<sup>4</sup>- ياسين بن ناصر الخطيب، المرجع السابق، ص278.

<sup>5</sup>- محمد ابو زهرة، محاضرات في الوقف، دار الفكر، بيروت، 1909م، ص505.

<sup>6</sup>- عبيد بوداود، المرجع السابق، ص45.

ومن الآيات القرآنية الدافعة إلى الخير باعتبار الوقف وجهاً من وجوه الخير نذكر منها:

قوله تعالى:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ".<sup>1</sup>  
"وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ نَكْفُرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ".<sup>2</sup>  
"لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ".<sup>3</sup>

ومن السنة النبوية مما رواه مسلم عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة أشياء: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له".<sup>4</sup>

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من احتبس فرساً في سبيل الله فإنَّ عشبه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة حسناً"

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما مما يلحق مؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، يلحقه من بعد موته".

فكل هذه الأحاديث النبوية الشريفة تدل على مشروعية الوقف الذي هو عن عبارة عن صدقة جارية ينفقها ابتغاء مرضاة الله جل وعلى.<sup>1</sup>

<sup>1</sup>- سورة الحج الآية 77.

<sup>2</sup>- سورة آل عمران الآية 115.

<sup>3</sup>- سورة آل عمران الآية 91.

<sup>4</sup>- راغب السرخاني روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، إشراف: داليا محمد إبراهيم، شركة النهضة للطباعة، مصر، ط1، 2010، ص34.

### ج-شروطه وأقسامه:

❖ **شروطه:** الوقف مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية, فهو عبارة عن إدارة خير في الإنسان المسلم, وعن إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع الإسلامي ولق تابعه المسلمون منذ أوائل الإسلام, ولكن بتطور الزمن تكاثرت وتعددت أوجهه وأغراضه.

يقوم الوقف على مبدأ شرعي وعلى صيغة قانونية قضائية ملزمة, فالقاضي عادة هو الذي يقوم بكتابة بصيغة معينة وبحضور الواقف والشهود مع تحديد قيمة الوقف وتعيين أغراضه وكيفية الاستفادة منها, وإنتقاله وعوامل نموه وتخصيص المشرفين عليه وشروطهم, ومع ذكر تاريخ الوقف, وتوقيع الشهود والقاضي. فالحبس اذن هو وثيقة شرعية يستند عليها ويلتزم باحترامها الواقف وأهله والمستفدون منه وكذلك السلطة.<sup>2</sup>

ومما يشترط كذلك في الواقف أن يكون كامل الأهلية من العقل والبلوغ والحرية والإختيار, ولا يكون على معصية مثل أسلحة محرمة ولا يكون فيها اعتداء أو وقف على خمر أو ماشابه ذلك, وعلى هذا الأساس أخذ الوقف مفهومه الشرعي ويصنف حسب الغرض من صرف المنافع المترتبة عليهم.<sup>3</sup>

### ❖ أقسامه:

ينقسم الوقف الى أنواع: وقفا عاما أو وقفا خاصا حيث يسمى الأول خيرى والثاني وقف أهلي.<sup>4</sup>

### أ-الوقف الخيري:

هو وقف خاص بمجموعة من الناس ذات انتماء مشترك سواء الدين أو مذهب أو المنطقة أو الفئة الاجتماعية أو كان يقف شخص أرضه على مستشفى أو مدرسة أو أرض ينفق من ريعها على الفقراء أو على مدرسة وقفا مؤبدا كان وقفا خيرى.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - عبد المنعم صبحي, المرجع السابق, ص23.

<sup>2</sup> - أبو قاسم سعد الله, تاريخ الجزائر القافي, (1500-1830), ج1, دار البيضاء, الجزائر, 2009, ص225.

<sup>3</sup> - عبيد بوداود, المرجع السابق, ص457.

<sup>4</sup> - نفسه, ص68.

## ب-الوقف الأهلي:

يسمى كذلك بالوقف الذري أو الخاص وهو ان يوقف شخصا جزءا من ثروته لعقبه مثل أولاده أو أحفاده أو زوجته أو أحدا من أقاربه.<sup>2</sup>

الفرق بين الخيري والذري هو الجهة التي يتم الوقف عليها فإن كانت هذه الجهة عامة كان خيرا وإن كانت خاصة بالواقف أو بأهله مدرلدية الواقف, فمن خلاله يمكنهم الاستفادة منه دون خوف من التقلبات المعيشية من زمن لآخر.<sup>3</sup>

## ج-الوقف المشترك:

هذا النوع من الوقف الأكثر انتشارا من الوقف الأهلي, وهو أن يخصص الواقف فيه جزءا من أملاكه لعائلته وأهله, والجزء الآخر لفائدة بعض الأعمال الخيرية لخدمة الفقراء والمساكين فهذا النوع يجمع بين الوقف الخيري والوقف الأهلي.<sup>4</sup>

## 2-إدارة الوقف:

### أ-نظام الوقف:

لقد كانت الممتلكات الوقفية تدال من قبل الواقفين لها, ومع مرور الوقت أصبحت ادارة تلك الممتلكات من قبل القضاة, ولكن بسبب تضخم الممتلكات الوقفية وانقطاع الصلة بينها وبين واقفيها الأوائل, لحسن استغلال هذه الممتلكات الحبسية وخاصة العمومية وتوزيع عائداتها على مستحقيها فوضعت الدولة الاسلامية إدارة الأوقاف بالإضافة الى مجموعة من الموظفين ويتلقون لقاء أدائهم أجور تتفاوت من موظف الى آخر, ولقد عرفت منطقة المغرب الاسلامي مجموعة من النظار الذين عرفوا بالاستقامة على عكس البعض الآخر الذين أساءوا الى تسيير الأظواق حيث كانوا يتعرضون الى المحاسبة إذ تبين تفريطهم أو خيانتهم.<sup>5</sup>

1- عبد المنعم صبحي, المرجع السابق, ص31.

2- عبيد بوداود, المرجع السابق, ص69.

3- راغب السرجاني, المرجع السابق, ص11-12.

4- منذر قحف, المرجع السابق, ص35.

5- عبيد بوداود, المرجع السابق, ص441.

-شروط تحديد ناظر الوقف: يشترط فيه أن يكون مؤهلاً لتحمل مسؤولية الوقف, فيكون أحد المقومات الأساسية في نهضته, وسد حاجيات الموقوف عليهم ومن جملة هذه الشروط:

**1-العقل:** يكون عاقل ويتحمل المسؤولية.

**2-البلوغ:** يكون راشد لأنه لا يعقل أن يتحمل مسؤولية الوقف صغير غير ناضج لم يعتمد على تجارب الحياة التي تعينه أن يتحمل المسؤولية.

**3-الإسلام:** هو شرط أساسي حيث لا يمكن للذمي أو الكافر تحمل مسؤولية مسجد حيث أن الواقف أراد من وقفه الاقربة والتواب والأجر فكيف يتحقق ذلك من يجعل منع الله كافر.

**4-العدالة:** يجب أن يصف الناظر بالعدالة لضمان تحقق المصلحة المرجوة للوقف فمن غير المتصور أن يحقق مصلحة الوقف الموقوف, عليهم شخص غير متصف بالأمانة والاستقامة.

**5-الكفاءة في التصرف:** والمقصود بها قدرة الناظر على التصرف فيما فوض إليه, فناظر الوقف يجب أن يكون على علم جيد بالمسؤولية والقدرة على تنمية الوقف واستثمار علته.<sup>1</sup>

**ب-تسيير الأوقاف من قبل الناظر:**

من أولويات الناظر: عمارة الوقف المحافظة عليه, فإن أهمل الوقف ولم يتم ترميمه فسوف يأتي الى اهلاكه وخرابه والى عدم الانتفاع به, فإذا كان الوقف مدرسة لطلبة العلم فإن إهمال الناظر لعمارتها وصيانتها يكون سبباً في صياع مصلحة المستحقين, وجلب الضرر لهم لذلك أجمع الفقهاء, على ضرورة صياغة عمارة الوقف من أجل استمراريته.

وكذلك الدفاع عنه من الاعتداء من المستحقين وغيرهم, لذلك وجب على الناظر بذل جهد للحفاظ على الأعيان الموقوفة لذلك قال بعض الفقهاء الحنابلة عن وظيفة الناظر:

"وظيفته: حفظ الوقف وعمارته, وإيجاره, وزرعه, ومخاصمة فيه"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - السرجاني راغب, المرجع السابق, ص ص 75-76.  
<sup>2</sup> نفسه, ص 77.

كما يجب عليه دفع ديون الوقف المترتبة على الوقف من خلال الإدارات المتحصلة لديه وكذلك دفع حقوق المستحقين من غلة الوقف, وعدم التأخر عليهم إلا في الحالات الملحة, ميل حاجة الوقف من اعمار أو اصلاح, لأن أي تأخير في اعطاء الغلة لمستحقيها ضررا لا ترضاه الشريعة الإسلامية.<sup>1</sup>

ولقد صور لنا الفقيه عبد الله العبدوسي بعض المهام الناظر في رده على سؤال طرح عليه متعلق بوجوب تفقد الناظر الأحباس أم لايقوله: "يطوف الناظر الحبس وشهوده وكتابة وقباضه على ريع

الأحباس أكيد وضروري ولا بد منه وهو الواجب على الناظر فيها لا يحل له تركه إذا لايتبين مقدار غلتها ولا عامرها ولا غامرها إلا بذلك وماضاع كثير من الأحباس إلا بإهمال ذلك فيأخذ الناظر وفقكم الله بالكد والجد والإجتهد".<sup>2</sup>

إن الناظر كان تحت تصرفه مجموعة من القباض والكتاب والشهود, وكانت الحوالة التي تسجل تتضمن ايرادات الوقف ونفقاته على رأس كل سنة هجرية في العادة, أو بعد جمع الغلة لاسيما الخيرية, وكان الناظر يشرف على هذه العملية من الناحية العملية فان العديد من النظار لم يقوا بأعمالهم وإلتزامهم بالمهام الموكلة إليهم, وعرضوا الأوقاف الى الإهمال ومن ثم وجبت محاسبتهم وعزلهم عن مناصبهم.<sup>3</sup>

وفي بعض الأحيان يمكن الاحتفاظ بناظر الحبس رغم ثبوت تفريطه وذلك لعدم توفر من هو أحسن منه وهذه الوظيفة ترجع أن أزمة أخلاقية كانت سائدة في ذلك الوقت وعدم الكفاءة في تسيير الأموال الأوقاف, أو أن إرادات الوقف لم تعد تجلب إهتمام الناظر لتراجع مردودها والتلاعب في الحسابات بين المداخل والنفقات(الدخل,الخرج).<sup>4</sup>

### ج-التعدي على أموال الأوقاف:

لقد تعرضت أموال الأوقاف إلى سطو من طرف رجال السلطة تحت عدة ضرائع أو من طرف النظار, مما أدى إلى ضياع الكثير من الوثائق الحبيسية, استولوا

<sup>1</sup> - عبيد بوداود, المرجع السابق 78

<sup>2</sup> - عبيد بوداود, المرجع السابق, ص 477.

<sup>3</sup> - نفسه, 477.

<sup>4</sup> - أبو زهرة, المرجع السابق, 402.

النظار على هذه الأموال بطرق مباشرة, وغير مباشرة, حيث قاموا بالتفريط فيها وإهمالها وسوء استغلالها, كما قام السلاطين والأمراء والولاة على أعمال الوقف فإنه بالمقابل توجد حالات, اعتدى فيها أولئك الأشخاص على أملاك الوقف عبر طرق عديدة.<sup>1</sup>

ففي الترجمة للصوفي أبي محمد عبد السلام التونسي<sup>2</sup> ديف العباد وردت حادثة استلاف الأير المرابطي تميم بن يوسف بن تاشفين من مال الأعباس على ناظر الأعباس جامع تلمسان حمو بن سمعون اللخمي مبلغا يقدر بخمسمائة دينار.<sup>3</sup>

حيث وجد النظار مشكلة تسيير أموال أموال الأوقاف بسبب استلاف رجال السلطة من هذه الأموال وتعرضهم الى مشاكل أثناء المحاسبة السنوية التي كانوا يتعرضون لها من طرف القضاة, إن التطرق الى هذا الموضوع نظرا الى أهميته ولكن هذا الأمر لم يكن شائعا كثيرا في ذلك الوقت لأن أموال الأعباس لها قيمة كبيرة من الناحية الإقتصادية والإجتماعية والتعليمية وكان لابد من الحفاظ عليها من الإلتاف والإستلاف والتعدي عليه من طرف النظار ومن طرف الحكام.

### ❖ دور الوقف في مختلف مجالات الحياة:

لقد لعبت مؤسسات الوقف دورا بارزا في حياة الأمة وقامت بدور تنموي في العديد من المجالات, ففي المجال الديني كان للوقف دور في بناء مساجد والمعاهد الدينية وتنشيط الدعوة, وفي مجال التربية والتعليم, نشر التعليم وإقامة المدارس والمكتبات وتوفير مرتبات العاملين, فكفلت استقلالية التعليم وتحرر العلماء والفقهاء من التبعية والقيود فأصبحوا يهتمون بالعلم فقط وفي المجال الصحي انشاء المستشفيات وفي المجال الاجتماعي تخفيف الأزمات الإجتماعية, وفي المجال السياسي من خلال تمويل النشاطات المختلفة وتوفير المشروعات ذات مصلحة إجتماعية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup>- عبيد بوداود, المرجع السابق, ص 496, 497.

<sup>2</sup>- أبي محمد عبد السلام التونسي: أصله من تونس وصحب عمه عبد العزيز التونسي بأغماط, فلما مات نها عمه, نزل هو الى تلمسان وبها توفي, ودفن بالعباد في الرابطة المعروفة برابطة التونسي, وكان عازفا بالمسائل زاهدا في الدنيا متقشفا صليبا في الحق مغلظا على الأمراء, لا يخاف في الله لومة لائم...", ينظر: عبيد بوداود, المرجع نفسه, ص 496.

<sup>3</sup>- نفسه, ص 500.

<sup>4</sup>- انتصار عبد الجبار مصطفى يوسف, التعاقد التشريعية للأوقاف الإسلامية, رسالة ماجستير في الفقه وأصله, الجامعة الأردنية 2008, ص 20.

أسهم الوقف في ارساء دعائم ثقافية متنوعة في المجتمعات الإسلامية من بينها الاستفادة من المساجد في التعليم بايجاد زوايا العلم وحلقات الدرس والعناية بتوفير مصادر المعلومات في المدارس والمساجد والربط والممارسات<sup>1</sup>.

ويذكر أن السلطان الزياني أبوحمو موسى الثاني كان يهتم بالأرامل والأيتام والمحتاجين والضعفاء والمساكين, وأهل السجون ويحرص على تقديم جريات لهم في المناسبات المختلفة ويستمتع الى انشغالاتهم وشكاويهم مرة في الأسبوع وكان يولي اهتماما خاصة لطلبة حيث أوقف عليهم الكثير من الأحباس وكان يتعدهم برعاية خاصة مثل كسوتهم وإطعامهم<sup>2</sup>.

فعرف المجتمع حيوية وفاعلية قل نظيرها في التاريخ فشيّد الحضارة وبنى الأمجاد قرونا طويلة.

واهتمام السلاطين بالأوقاف وتوزيعها في موارد مختلفة جعل منها وسيلة تنمية حقيقية للمجتمع وتجاوز المسلمون الحاجات الضرورية الى الحاجات الكمالية<sup>3</sup>.

وقد تكون الأوقاف حاجية لأجل تحقيق المصالح الحاجية في التوسعة والتسيير ورفع الضيق بقصد إعانة الانسان على تسهيل أمور معاشه<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - يحيى محمود ساعاتي, الوقف وبنية المكتبة العربية "استنباط المورث الثقافي", مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية, المملكة العربية السعودية, ط2, 1996م, ص16.

<sup>2</sup> - عبيد بوداود, المرجع السابق, ص53.

<sup>3</sup> - انتصار عبد الجبار مصطفى يوسف, المرجع السابق, ص21.

<sup>4</sup> - نفسه, ص 22.

## الفصل الثالث: نماذج من أوقاف المغرب الأوسط ودورها في التعليم

1: الوقف \_\_\_\_\_ ف على المساجد

2: الوقف \_\_\_\_\_ ف على المدارس

3: الوقف \_\_\_\_\_ ف على الزوايا

4: الوقف \_\_\_\_\_ ف على الكتاتيب

5: الوقف \_\_\_\_\_ ف على المكتبات

1 / الوقف على المساجد:

يرتبط نظام الوقف في الإسلام بإنشاء المساجد لأن الإسلام حرص على أن يدعو المسلمين إلى إنشاء المساجد وتعميرها<sup>1</sup> كما جاء في قوله تعالى : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين »<sup>2</sup>.

لقد قامت الأوقاف بدور كبير من أجل تدعيم المساجد لتمكينها من أداء رسالتها التعليمية كما أن ازدهار الأوقاف أدى بدوره إلى تقوية الشعور الديني.

وتعتبر الأوقاف التي حبست لرعاية المساجد ودفع مرتبات العاملين فيها من أهم العوامل التي هيأت لهذه المؤسسات الدينية تأدية رسالتها الدينية والتعليمية.

ولقد تمتع المسجد بأكبر قدر من الأوقاف ، حيث رصدت أموال ضخمة وهامة لبنائها وترميمها وصيانتها وكذلك النفقة على أئمتها ومؤذنيها ومختلف القائمين عليها<sup>3</sup>.

ولم تكن المساجد محل عبادة وإقامة الشعائر الدينية فقط ولكنها كانت تتضمن حلقات التدريس وكان الطلبة يقصدون المساجد الكبيرة من مختلف الأمصار لتلقي مختلف العلوم على يد أساتذة مشهورين آنذاك، بل أن بعض المساجد تحولت إلى معاهد كبرى أو جامعات<sup>4</sup>.

إن الإنفاق بسخاء على المساجد مكنها من توسيع نشاطها ليشمل العديد من الاهتمامات فكانت بحق راعية المجتمع والقائمة على شؤونه.

إن ممارسة الفقهاء مهام الإمامة و الخطابة والقضاء والتدريس ما كان ليتم لولا أموال الإحباس، وعلى رأسها دفع رواتب للنفقة على أنفسهم وعيالهم وهذا تم

1 - انتصار عبد الجبار مصطفى اليوسف، المقاصد التشريعية للأوقاف الإسلامية ، رسالة ماجستير في فقه وأصوله ، الجامعة الأردنية ، 2007، ص47.

2 - سورة التوبة، الآية 18.

3 - انتصار عبد الجبار مصطفى اليوسف ، المرجع السابق، ص47.

4 - عبد بوداود، المرجع السابق، ص554.

التصريح به في مقدمة رسالة في الوقف ثم الفراغ من تأليفها يوم 18 جمادى  
1220هـ/1708م ، لم يتم التعرف على صاحبها حيث يذكر:

"أما بعد فهذه الرسالة عملناها في بعض أحكام تتعلق بالأوقاف من الإستيجار  
والاستبدال لاحتياجنا واحتياج سائر حكام المسلمين إلى إتقان معرفتها بكل حال لما  
في تنميتها وتيقيتها الميل إلى الثواب والميل عن الوجل لما أن أكثر العلماء الصلحاء  
في هذا الزمان يعولون على الأوقاف في نفقة الأهل والعيال فالاعتناء بها من محاسن  
الأعمال والأفعال"<sup>1</sup>

نستنتج من هذه الرسالة أن الأوقاف كانت ضامنة لرواتب موظفي المساجد  
وبالإضافة إلى اعتناء الأوقاف برواتب موظفين بالإضافة إلى توفير السكن لبعض  
هؤلاء الموظفين وهذا ما يتردد في بعض النوازل، وكذلك توفير المساكن للائمة  
وترميمها من أموال الأوقاف.<sup>2</sup>

ولقد وفرت أموال الأوقاف توفير الماء العذب وشمع وقت صلاة العشاء والصبح  
وصلاة التراويح في رمضان ، وثلث الفرش من بسط وحصير وثلث القناديل والزيت  
وما يحتاج إليه من إنارة وأواني فخار يحفظ فيه الماء وعود البخور الذي يستعمل في  
رمضان و(المناسبات الدينية)، وكانت هذه الأوقاف تعين العاملين والقائمين عليها  
والفقراء المحتاجين إلى حد كبير في حياتهم اليومية، كانت نوعا من أنواع الرعاية  
التي أسبغها الحكام وأهل الخير على المسلمين .<sup>3</sup>

ومن دراسة كتب النوازل نلاحظ أن الأوقاف المخصصة للمساجد كانت مؤلفة في  
معظم الأحيان من ثلث التركات ومن الراضي والدور والدكاكين والأفران وأشجار  
وغلاتها لتوزيعها على العاملين في المساجد والطلبة وشراء كل ما يحتاج إليه المسجد  
من ضروريات كالأفرشة ، واللوازم الأخرى وكذلك أموال لترميم وإصلاح المساجد  
، فضلا عن أجور العاملين به ومصدر أحباس الدولة الزيانية كانت تعتمد على

- عبيد بوداود، المرجع السابق، ص 557

2- نفسه، ص 558.

- انتصار عبد الجبار، المرجع السابق، ص 483

أحباس الأفراد والحكام والسلاطين الدولة الذين حبسوا جزءا معتبرا من أملاكهم على المساجد.<sup>1</sup>

حيث قام السلطان يغمراسن ببناء صومعتي للجامعين الأعظمين في كل من تاجرات وأجادير ورفض أن يكتب اسمه عليهما حيث قال: "يستنت ربي"<sup>2</sup> أي عرفه الله علو همه وحسن الظن بالخالق ، وإعراضا عن التفاخر الدنيوي،<sup>3</sup> وهذا دليلا على ورع السلطان وتقواه.

وكذلك أحباس السلطان المريني أبو الحسن أعمال تحبيسه وهو بناؤه لمسجد مستغانم العتيق سنة 742هـ ولقد حبس عليه العديد من الأوقاف ليقوم بدوره التعليمي والديني ولقد تعدد أحباسه من حانوتين وجرار من الزيت للإضاءة كما تصرف من ربع الأحباس لدفع مرتبات الإمام والمؤذن، وهذا ما حددته لوحة التحبيس المثبتة على أحد جدران المدرسة.<sup>4</sup>

وكذلك مسجد سيدي الحلوى<sup>5</sup> الذي أنشأه السلطان المريني أبو عنان سنة 754هـ/1353م الذي حظي بجملة من الأحباس التي خصصت له من طرف السلطان المريني تضم أسماء الدكاكين الموقوفة عليه للقيام بمهمة المسجد والتكفل بجميع متطلباته.<sup>6</sup>

- عبيد بوداود، المرجع السابق، ص158.

- يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، مج 1، تحقيق: ألفرد بل، مطبعة فونطانة الجزائر، 1910، ص 207.

- عبيد بوداود، المرجع السابق، ص 159.

- ينظر الملحق رقم 4.01.

5- مسجد سيدي الحلوى: سبيده السلطان المريني أبو عنان فارس ونسبه إلى الرجل الصالح والعالم الصوفي أبي عبد الله المستوذي الذي تولى قضاء باشبيليه

6- رزيوي زينب، مؤسسة التوجيه الثقافي في المجتمع المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (15-13م) ن رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2009-2010، ص120.

وهناك أيضا مسجد أبي الحسن علي بن خلف التنسي المعاصر لسلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن الذي شيده ونسبه إليه، إكراما له لأنه كان من أفضل علماء عهده واتقاهم وأروعهم،

وابتني هذا المسجد عام 696هـ وحبس عليه أموال عقارية<sup>1</sup>، والوثيقة الحبسية الخاصة للمسجد أبي الحسن وهي كالتالي:

"بسم الله الرحمن الرحيم صلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، بنى هذا المسجد الأمير أبي عامر ابن السلطان أبي يحيى يغمراسن بن زيان في سنة ستة وتسعين وستمئة من بعد وفاته رحمه الله .

-حبس لهذا المسجد عشرون حانوتا ، منها بحائط قبلته أربعة عشر وأمامها ستة أبواب تنظر للجوف ومصرية بغربي المسجد على باب الدرب وداران اثنتان بغربيه الواحد لسكنى إمامه والثانية لسكنى المؤذن المقيم بخدمته وأذانه ، تحبيسا كاملا مؤبدا.

-احتسابا لوجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم لا إلى إلا هو الغفور الرحيم<sup>2</sup>.

وقد ابتني هذا المسجد حسبما نصت عليه النقوش المثبتة على الجدران الغربي للمسجد والمكتوبة على صفحة من المرمر الأخضر بخط الأندلسي أنيق ، أنه تذكار الأمير أبي عامر إبراهيم بن أبي يحيى يغمراسن بن زيان الذي أوحى ببناء هذا المسجد قبل وفاته<sup>3</sup>.

وردت مجموعة من النوازل الفقهية تتعلق بالحبوس الذي كان له دور هام في عصر الدولة الزيانية، ومن بين النوازل التي تتعلق بهذا الموضوع هذه النازلة "ستل شيخنا أبو الفضل العقباني : عن مسجد حبس عليه زوج لعمارة المسجد ، فطلب أهل العلم قاضي الجماعة ، والمفتي دون أن يصرفها عليه أصلا، وغلته اما أرى فيه من المصلحة والإعانة، على الظلم وكان قبل ذلك قاضي الوطن صرفها على المساجد هناك "

<sup>1</sup> - الحاج محمد رمضان شاوش، المرجع السابق، ص187

<sup>2</sup> - عبيد بوداود، المرجع السابق، ص159-160.

- رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، الجزائر، السنة 41 ، العدد 26، 1975، ص176<sup>3</sup>

هذه النازلة تتعلق بصرف ما ينتج من العقارات التابعة للمساجد فالمتفق عليه الغلة تعطي لإمام المسجد والمؤذن لشراء الفراش والزيت الفنادل التي بالمسجد لكن عندما ينهار المسجد كيف يكون صرف الفطة، فاقترح بعضهم للقاضي والمفتي لأنها ربما لا يتقاضون مرتبها من بين المال وأن وجودهما في التعليم رحمة للمسلمين حيث أنهم يقومون بحل مسائل الناس فوجودهم ضروري<sup>1</sup>

## مسجد أبي مدين:<sup>2</sup>

ويعود إنشاء مسجد أبي مدين إلى سنة (73هـ/1338م) من قبل السلطان المريني أبي الحسن بعد سنتين من استعلائه على تلمسان ويظهر أن مداخل أوقاف مسجد ومدرسة أبي مدين كانت ضخمة لدرجة أنه كان يفضل من نفقتها أموال استغلت في هاتين المناسبتين لتعزيز ممتلكاتها بشراء أراض أخرى، ولا ننسى مكانة أبي مدين عن سلاطين الزيانيين<sup>3</sup>.

وكذلك أحباس مسجد سيدي ابن زكري<sup>4</sup>، ويظهر أن هذا المسجد أسس خلال القرن التاسع هجري (ق15م) ، وكان يتوفر على عدة أحباس وهو يقع داخل مدينة تلمسان

<sup>1</sup> أبو زكريا يحيى موسى الغيلي المازوني، الدرر المكونة في نوازل مازونة ، ج1 تحقيق مختار حساني، دار الكتاب العربي الجزائر ، ب ط ، 2009 ص34

<sup>2</sup> - بناء السلطان المريني سنة 739هـ/1339م) كما وضع فيه الكتابة مرسومة على اللوحة بخط جميل جاء فيه ، الحمد لله وحده ، أمر بتشيد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان عبد الله علي ابن مولانا السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيده الله ونصره عام تسعة وثلاثين وسبع مائة ، ينظر عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق، ص147، 148.

<sup>3</sup> - عبيد بوداود، المرجع السابق، ص171

<sup>4</sup> - مسجد ابن زكري : بني هذا المسجد نسبة إلى العالم وهو من كبار الفقهاء في تلمسان حيث اشتغل بالعلم والتدريس ، ينظر : رشيد بورويبة ، المرجع السابق، ص178.

، ولقد عثر شارل بروسلاز على وثيقة أحباس داخل هذا المسجد الصغير مؤرخة في سنة (1154هـ/1741م) ن وتتضمن جزءا مفصلا بأحباسه ويظهر أن هذه الوثيقة الحبسية هي تعزيز الاحباس السابقة وإعادة كتابتها كمان جرت العادة في الحوليات الحبسية<sup>1</sup>.

## 2/ الوقف على المدارس:

إن المعنى الاصطلاحي للمدارس يختلف عن مدلول الأماكن التعليمية والدينية كالمسجد والكتاب والرباط، فهي عبارة عن بناية مستقلة عن أي بناية عمومية ، تبنى عادة خارج المسجد ويلحق بها جناح خاص لإيواء الطلبة الغرباء والفقراء وعابري السبيل ، ومكتبة تتضمن كتب تحبس لفائدة .

لقد اعتمدت المدارس في تمويلها على الأحباس بالدرجة الأولى ، ثم على إعانات المحسنين من التجار والعلماء والسلاطين والأمراء<sup>2</sup>.

ويبدو أن المدارس في المغرب الإسلامي كان من حسنات ما نقله الرحالة المغاربة الذين جابوا بلاد المشرق الذين أعجبوا بالمدارس النظامية الموجودة لكن الباحثين اختلفوا حول تحديد بداية ظهور المدرسة المغربية ، فهناك من يرجعها إلى العصر المرابطي، وهناك من يرجعها إلى العهد الموحي ، وهناك من ينسب إنشائها بالمغرب إلى المرينيين<sup>3</sup>.

ويرجع هذا التباين حول تحديد تاريخ ظهور المدرسة في المغرب الإسلامي لان النصوص المصدرية متأخرة وتعود إلى الفترة المرينية ، وكذلك استعمال مصطلح المدرسة في المصادر، قد كان يكتنفه الغموض وبالتالي قد يقع انزلاق في استخدامه دون تدقيق في معناه ودلالته وأبعاده وفضلا عن ذلك إلى اندثار المباني التعليمية التي ترجع إلى الفترة السابقة عن المرينيين والحفصيين والزيانيين<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - عبيد بوداود، المرجع السابق، ص171

<sup>2</sup> - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص141

<sup>3</sup> - صلاح بن قرية، مصادر تاريخ مدارس تلمسان في العهد الزياني تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة وثورة أول نوفمبر 1945، الجزائر، 2007، ص135-137.

<sup>4</sup> - نفسه، ص 138.

إن الغرض من إنشاء المدارس والاعتناء بها وقف الأموال عليها في الدول الزيانية لم يكن لتعليم الطلبة فقط ، بل كان لغرض آخر هو بإحياء المذهب المالكي ورد الاعتبار لعلمائه لما تعرضوا له من مضايقات في زمن الموحدين وهكذا شيدت المدرسة لتكون أداة لسلطة لتكوين الأطر والعلماء المتخصصين في المذهب المالكي مع الاهتمام بالعلوم الأخرى ولكي تتمكن هذه المدارس بتأدية وظيفتها ورسالتها وفر لها السلاطين الإمكانيات اللازمة على شكل أملاك حبسية.

فهي مدارس سلطانية النشأة والتمويل أقيمت خصيصا لإيواء الطلبة وتدريس العلوم وخاصة منها المقترنة بالمذهب المالكي لتعزيز مكانته في الدولة.<sup>1</sup>

ولقد ساهمت هذه الأوقاف كذلك في محو الأمية، ومعرفة أصول العقيدة الإسلامية كما خرجت هذه المدارس الكثير من العلماء والأعلام والنجباء.

ولولا الوقف الخيري على المدارس الذي يشمل المدرس والدارسين وكل ما يحتاجون إليه من أدوات لدراسة ما استطاعت هذه المؤسسات أن تقوم بدورها وتؤدي رسالتها وتخرج العلماء في كل العلوم ، مازالت الدنيا تشهد بعقريتهم<sup>2</sup>.

لقد أحصى الحسن الوزان عند مطلع القرن العاشر الهجري خمس مدارس بتلمسان<sup>3</sup>، ومما يلاحظ على هذه المدارس أنها كانت تدرس على المذهب المالكي وكانت مدارس حكومية رسمية تابعة كلها للدولة التي ظلت تشرف عليها بالتمويل، وتعيين الأساتذة والمدرسين وكان كل مدرسيها من المالكية، وقد خصصت السلطة الرواتب والأجور للمدرسين وكل العاملين فيها.

كما تكلفت بإعانة الطلبة ماديا وبتحمل جميع نفقاتهم ومصاريفهم وحرص المشرفون على المدارس، على إنشاء المكتبات التي أدت دورا في تعليم القوانين الشرعية والعلوم اللغوية.<sup>4</sup>

ولكن مع غياب التقنيات الأثرية تجعلنا نفتقر إلى المعطيات التي تكشف عن شكل تلك الهياكل وتخطيطها ومعمارها وكذلك وظائفها ، وغياب الشواهد الأثرية والغموض

1 - صالح بن قرية، المرجع السابق، ص140.

2 - عبد المنعم صبحي، المرجع السابق، ص127.

3 - وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج2، ص19.

4 - بلحسن إبراهيم، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأدنى من القرن 7 إلى القرن 9 هـ/13-15م، رسالة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2004-2005، ص74.

في المصطلحات المتداولة في المصادر يمكن القول بأن المغرب الإسلامي عرف هياكل تعليمية إلى جانب حلقات العلم التي يؤطرها العلماء بالمساجد لكنها لم ترق من حيث الشكل والمحتوى والوظيفة إذا ما اقترنت بمفهوم المدرسة أيام المرينيين والحفصيين والزيانيين.<sup>1</sup>

ومع مطلع القرن السابق هجري بدأت المدرسة بالظهور والانتشار في المغرب الإسلامي كمؤسسة تعليمية ، حيث تنافس سلاطين المغرب على تأسيس المزيد منها ووقفها لخدمة العلم وأهله وبسبب الاعتناء بها كثرت وأصبحت تنافس الدور التعليمي للمسجد.<sup>2</sup>

إن أهم المدارس ببلاد المغرب الأوسط والتي يعود تأسيسها إلى الفترة الزيانية شيدت بمدينة تلمسان ، في فترات مختلفة ، حيث ساهمت في تحصيل الحركة العلمية، ودرس بها كبار العلماء وأدباء المغرب الأوسط وقصدها الطلبة من مختلف الأقطار<sup>3</sup>، ويمكن حصر هذه المدارس كالتالي:

#### -مدرسة ابني الإمام:

تعتبر أول مدرسة زيانية يعود تأسيسها إلى السلطان أبو حمو موسى الأول(710هـ-1310م)تكريما للعالمين الجليلين الفقيهين أبي عبد الرحمن وأخيه أبي موسى عيسى ابن الإمام وكلفهم بإدارة التعليم بها فحملت هذه المدرسة اسميهما وكان موقعها بناحية المطمر حسبما ذكره ابن خلدون<sup>4</sup> أما تنسي يقول أن أبو حمو موسى كان محبا للعلم وأهله ورد عليه بعد موت يوسف ابن يعقوب الفقيهان حيث أكرم مثاوما وبني لهم مدرسة<sup>5</sup>.

وكان يكثر من مجالستهما والاقتداء<sup>6</sup>، وهذان العالمين من بلدة برشك<sup>1</sup>، حيث كان لهم دور كبير في نشر مختلف العلوم بها، ولكن في غياب الشواهد الثرية المتمثلة في

1 - صالح بن قرية، المرجع السابق، ص137.

2 - عبيد بوداود، المرجع السابق، ص554.

3 - خديجة بورملة، صورة المغرب الأوسط في كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، سيدي بلعباس، 2011-2012، ص120.

4 - صالي بن قرية، المرجع السابق، ص213.

5 - التنسي، المصدر السابق، ص139.

6 - المصدر نفسه، ص140.

الحوالات الحبسية أو وثائق التحبيس الملحقة بالمدرسة يصعب التعرف على دور الوقف ومساهمته في التنمية الثقافية<sup>2</sup>.

### مدرسة أبي مدين بالعباد:

لقد حظت مدرسة أبي مدين<sup>3</sup>، بحظ وافر من الأحباس وذلك من خلال قراءتنا للوحة الحبسية أو الوقفية لها ، المنقوشة على لوح من الرخام المعلقة في المدرسة أو الجامع ، حيث علفت أمام الناس لكي لا يعبت أحد بأموال الأوقاف التي خصصت لهذه المدرسة حيث حدد للجامع والمدرسة عشرين وقفا وسبعة وعشرين بستانا وجنانا في نواحي عديدة بضواحي تلمسان ، زيادة إلى حمام داخل تلمسان يدعى حمام العالية والذي يحتوي على حانوتين ودار صغيرة ، ونصف حمام بمدينة المنصورة ، آنذاك وتدعى بدار المعروف<sup>4</sup>، إلى جانب عطايا السلطان في المناسبات كالأعياد وشهر رمضان والتي تتمثل في الألبسة والكتب وغيرها ومن الأموال الجسيمة التي صرفها السلطان على بناء المجمع الديني فكلفه السقف الخشبي المنحوت والباب الخشبية المزينة بالنحاس 700 دينار ذهبية والصومعة 370 دينار ذهبية ، ويعد هذا اللوح بمثابة وثيقة رسمية لحفظ الأموال الحبسية<sup>5</sup>.

لا توجد معلومات كثيرة عن هذه المدرسة في كتب الرحالة<sup>6</sup>، إلا ما أشار إليه بن قنفذ القسنطيني في رحلته عند وصفه لقبر أبي مدين شعيب<sup>7</sup>، فبعد وصفه لقبر الموجود في بيت صغير يقول: " وتحت هذا البيت وبجواره قبور كثيرة متزاحمة لالتماس ببركة الشيخ أبي مدين ، وزاوية ، قريب منه ولها أوقاف يجري من ذلك على المنقطعين للعبادة وبجواره جامع للخطبة ومدرسة للتعليم"<sup>8</sup>.

1 - برشك أو برشبيك: مدينة رومانية صغيرة وساحلية، تقع بين تنس وشرشال، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ترجمة: محمد الحاج صادق ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص112

2 - صالح بن قربة، المرجع السابق، ص214

3 - مدرسة أبي مدين شعيب: شيدها أبو الحسن علي ابن عثمان ابن يعقوب ابن عبد الحق المريني 748هـ-1346م، تعد من أجمل المدارس في المغرب الأوسط وهي تتكون من طابقين سفلي به عشرة حجرات وطابق علوي بالإضافة إلى المياه كمراحيض والحمامات ، ينظر: عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص29.

4 - لعربي لقريزي، مدارس السلطان أبي الحسن المريني " مدرسة أبي مدين نموذجاً"، رسالة ماجستير، ثقافة شعبية ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2000-2001، ص55

5 - ينظر إلى الملحق رقم 02.

6 - خديجة بورملة، المرجع السابق، ص56

7 - أبو مدين شعيب، بن الحسن الأندلسي شيخ المشايخ ولد باشبيلية وعاش في فاس، ثم انتقل منها إلى بجاية ثم إلى تلمسان، ينظر: لحضر عبدلي المرجع السابق، ص54

8 - عبد العزيز فيلال، المرجع السابق، ص148

### المدرسة اليعقوبية :

وعن مناسبة بنائها يقول عبد الرحمن ابن خلدون: خلال تعريفه للعالم أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني<sup>1</sup>: "...وملك أبو حمو بن يوسف بن عبد الرحمن مدينة بن مرين، واستدعى الشريف من فاس، فسرّحه القائم بالأمر يومئذ العزيز عمر بن عبد الله، فانطلق إلى تلمسان وتلقاه أبو حمو براحتيه، وأصهر له، فزوجها إياه، وبني له مدرسة جعل في بعض جوانبها مدفن أبيه وعمه، وأقام الشريف يدرس العلم غلا أن هلك سنة إحدى وسبعين"<sup>2</sup>، حيث كان السلطان أبو حمو موسى الثاني مولعا بتشبيد المساجد والمدارس حيث شرع في تأسيسها مباشرة بعد وفاة والده فكان الانتهاء من بناءها 765هـ/1354م وأكثر عليها الأوقاف والجرايات<sup>3</sup>، وحضر مجلس العلم جالسا على الحصير تواضعا للعلم وإكراما له، فلما انقضى المجلس أشهر تلك الأوقاف وكسا طلبتها كلهم وأطعم الناس<sup>4</sup>، وأوقافها كانت كثيرة وكبيرة جدا وكان يصرف عليها من صندوق الأوقاف المشتمل على أموال كثيرة، وكانت مصانة، لدرجة أن السلطان تعفف من استعمالها ولم يجرؤ على استعمالها في غير ما وقفت له رغم الحاجة الماسة بعد فترة الاستيلاء المريني (753-760هـ/1352-1358م)، ويقول عن ذلك يحيى ابن خلدون: "...وفتح بين يديه الكريمتين، أعلى الله مقامه، صندوق الأوقاف المتنوعة مفعما ذهباً وفضة فلم تغره صفراؤه، ولا بيضاؤه وشنشنة عرفها، من أحزم وسنة علوية عليه"<sup>5</sup>. وكذلك من أوقاف السلطان عليها: قد حسب الزاوية المقامة على ضريح والده أبي يعقوب والطاحونة الملحقة بزاوية وثلاثين دكانا في درب الصاغة القديمة والكوشة "العزن" التي توجد بدرب المنشر للجلد<sup>6</sup>.

1 - هو عبد الله محمد الشريف الحسني: أحد رجال الكمال علما ودينا أحاط بكل فن عقلي ونقلي، أخذ عن أبي الإمام وعن الشيخ الأبلّي، توفي في 771هـ/1370م، ينظر: يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص120

2 - خديجة بورملة، المرجع السابق، ص122

3 - صالح بن قرية، المرجع السابق، ص151

4 - تنسي، المصدر السابق، ص180.

5 - يحيى ابن خلدون، المرجع السابق، ج2، ص37

6 - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص178

وهو ما أشارت إليه الوثيقة الحبسية 763هـ/1361م وهي تمثل تاريخ الانتهاء وإتمام المشروع البناء<sup>1</sup>، ولكن هذه الوثيقة الحبسية وردت باسم مسجد أبي الإمام وهذا ما ورده شارل بروسلا<sup>2</sup>.

ومهما يكن فالوثيقة تبرر جانبا آخر من خلال تحديدها للمستفيدين منها ، وهم المعلمين والطلبة والإمام والمؤذن، ولكن لا يحدد مقدار استفادة كل واحد منهم ، ومع ذلك حظي طلبة المدرسة والزاوية اليعقوبية بمكانة متميزة<sup>3</sup>.

وبسبب شهرة هذه المدرسة اكتظت بالعلماء والطلبة الذين توافدوا عليها ومارسوا فيها أنشطتهم ، حيث كانت ناديا علما كما وكيفا ، بسبب كثرة محبوساتها وبالإضافة إلى قربها من المسجد الجامع ، حيث ساهمت اليعقوبية في تنشيط الحركة الثقافية بتلمسان ، وبالرغم من التداخل الوثيق بين المدارس والمساجد فإنه يمكن القول أن هذه المدرسة ساهمت في تكوين وإعداد الأطر في الدولة مثل : علماء قضاة وخطباء ومدرسين كان لهم الأثر الواضح في الحياة الفكرية وقاموا بنشر اللغة العربية ونشر الثقافة العربية الإسلامية وتنشيط المذهب المالكي بالمغرب الأوسط<sup>4</sup> ولكن أصاب هذه المدرسة نوع من الفتور النسبي في بعض المراحل بسبب التحولات التي عرفت البلاد التي أثرت على الحياة الفكرية ، وكذلك إهمال أوقاف المدرسة إن لم نقل ضياعها تمام ، وهذا ما يؤدي إلى الاندثار وتصدع هذه المدارس<sup>5</sup>.

**المدرسة التاشفينية:**<sup>6</sup> شيدت من طرف السلطان أبو تاشفين بن أبي حمو موسى الأول بجانب مسجد الأعظم تكريما للفقهاء أبي موسى عمران المشدالي وسخر لبناتها فنانيين ومهندسين من ذوي كفاءة ومهارة عالية في الزخرفة والتزيين والبناء فجاءت هذه المدرسة نموذجا فريدا في الزخرفة ، هذا يدل على ولع السلطان بالعمارة والتفنن بها، فجعلها قصرا من قصور الملوك، ضمت عدة بنايات ورواقات، احتفل السلطان أبي تاشفين بتشييدها ، احتفالا كبيرا، حضره مشيخة تلمسان وأدباؤها<sup>7</sup>.

1 - عبد بوداود، المرجع السابق ، ص164-165.

2 - ينظر إلى الملحق رقم 04.

3 - زينب رزيوي، المرجع السابق، ص120

4 - صالح بن قرية، المرجع السابق، ص154

5 - نفسه، ص155

6 المدرسة التاشفينية، بنية من طرف السلطان أبو تاشفين 718هـ 737 هـ بجانب المسجد الأعظم ينظر لخضر عبدلي المرجع السابق ص244

7 عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 142

وقد جاء ذكر هذه المدرسة عند التنسي عند وصفه لأعمال أبي تاشفين حبس ذلك كله بناء المدرسة الجليلة العديمة النظر إلى بناءها بإزاء الجامع الأعظم وما ترك من شيء مما أختصت به قصوره مشيدة الارشيد مثله بها<sup>1</sup>.

أما السلطان أبي العباس أحمد العاقل (834هـ/886هـ/1430م/1482) أوقف عليها أوقاف جليلة<sup>2</sup>

وقبل الحديث عند دورها التعليمي يجب الحديث عن السلطان أبو تاشفين ودوره في تنشيط الحركة العلمية بالمدرسة كان ومحباً للعلماء وفقهاء ومقدماً عليهم بالاموال والعطايا حيث كان يعقد مجالس العلمية بيلاطه إحتراما وللعلم ومن بين العلماء الذي استقبلهم أبو العباس بن عمر البجاني الذي قدم من بجاية، حيث ساهمت هذه المدرسة في تقدم الحركة الثقافية بتلمسان بدليل إيوائها المتواصل لطلبة واحتضانها حلقات العلم وفضاء الإلقاء الدروس<sup>3</sup> ولقد استفادت هذه المدرسة جملة من الأوقات ، تتغدى من ربعها لتؤديه رسالتها العلمية<sup>4</sup>.

ولكن لا نعلم فيما تجلب هذه الأوقاف لغياب الوثيقة الحبسية الخاصة بها، وكما هو معروف أو أوقافها اندثرت ولكن أحيائها السلطان أبي العباس أحمد العاقل (834-866هـ/1430-1461) وهو ما أورده التنسي ، حيث قال: فوجدت كثيرا من ربع الإحباس قد اندثرت والوظائف التي بها قد انقطعت فأحيا رسمها وجرد ما اندثروا أجرى الوظائف على ازيد مما كانت عليه<sup>5</sup>.

كما خصصت جزء من أموال الأوقاف لشراء التجهيزات الضرورية الحصر وإلا فريشة وزيت والوقود ومنع العطايا لأطر المسيرة المدرسة السهر على خدمة الطلاب بالإضافة إلى أعمال الحراسة<sup>6</sup>.

وعين ابن تاشفين بهذه المدرسة مدرسين مثل أبي موسى مشدالي<sup>7</sup> وذلك لينتشر العلم والأدي في عاصمته التي كان يريد أن تضاهي تونس ، فاس، غرناطة<sup>8</sup>.

## الوقف على الزوايا:

<sup>1</sup> التنسي، المصدر السابق، ص125

<sup>2</sup> صالي بن قرية ، المرجع السابق، ص147

<sup>3</sup> ينظر الى الملحق: رقم05

<sup>4</sup> زينب رزيوي السابق 123

<sup>5</sup> صالي بن قرية ، السابق 123

<sup>6</sup> التنسي، المصدر السابق 247

<sup>7</sup> ابو موسى مشدالي من أكبر الفقهاء عصره أصله من زاوية بجاية، ينتظر ، التنسي ، المصدر السابق، 141

<sup>8</sup> المصدر نفسه، 141

لقد اختلف بناء الزاوية عن بناء المسجد والمدرسة ، فالزاوية غالبا ما جمعت بين هندسة المسجد والمنزل، جدرانها قصيرة منخفضة ، قليلة النوافذ ، وإذا كان لزاوية مسجد نهوفي الغالب بدون متذنة ، فهي من الناحية الهندسية غير جميلة بالإضافة إلى أنها كثيرة الرطوبة العتمة، وشكلها يوحي بالعزلة والتقف والمدعو كانت العديد من الزوايا محددة أصلا لسثنى الطلبة.

ولم تتقف الزاوية بدورها الديني فقط بل كانت بمثابة معهد لتعليم الشباب وتنوير العامة، ظاهرة التعليم في الزوايا ليست خاصة بالريف المدن كانت الزاوية تؤدي دورها التعليمي بجميع مستوياته ، غير أن معظم زوايا المدن كانت معطلة عن التعليم لوجود الكتاتيب من جهة والمساجد والمدارس المخصصة من جهة أخرى<sup>1</sup>

وكانت تقام فيها الصلوات الخمس فضلا عن الدروس التي كانت تلقى على طلاب كما كانت تقوم بوظائف أخرى عنها ابن مرزوق في قوله " أن الزاوية عند فافي العرب تأوي المتجولين ودار مجانية تطعم المسافرين وهي مدرسة كذلك"<sup>2</sup>

لقد انتشرت الزوايا في العهد الزياني، وخصوصا مع انتشار التصرف في المدينة وكانت تؤدي في دورها التعليمي ونافست المسجد والمدرسة في العهد الزياني<sup>3</sup>

كانت بعض الزوايا ينشأها أهل الخير والسلطين ورجال التصرف أو يشترك جماعة في انشائها ويوقفون عليها الأوقاف الجليلة لتغطية نفقتها وكانت ادارتها ورعايتها توكل إلى الناظر وجماعة من مساعيه، فكان الناظر يصرف أمورها ويجتمع باتباع الزاوية ليلقنهم أسرار الطريقة ويقراء معهم الاوراء الخاصة<sup>4</sup>

لقد لعبت الزاوية أدوارا مختلفة اجتماعية والثقافية ، من خلال مداخيل الأوقاف ويبدو أن الأوقاف المخصصة لزوايا أخذت تتعظم ولكن بعض الفقهاء قاموا تحرير الوقف على الصوفية وذلك لزيغهم والخروج البعض منهم عن الطريق الشرعي وذلك لما كانوا يقومون وبه من طقوس كالتصفيق والرقص والغناء التي كانوا يعقدونها ، إن حجم الأوقاف على زوايا كانت ضخمة وذلك من خلال ما تركته كتب النوازل ، ومن خلال أموال الأوقاف تم بناء واصطلاح وترميم هذه المنشأة التعليمية والدينية والتي بقية مורות حضاري إلى يومنا هذا<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أبو قاسم سعد الله المرجع السابق ص 236

<sup>2</sup> ابن مرزوق المسند الصحيح الحسن في مآثر مولان أبي الحسن تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم ، محمد بوعياذ الشركة الوطنية ، الجزائر 1982 ص413

<sup>3</sup> عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ج ص150

<sup>4</sup> مجتوب بودواية، المرجع السابق ص 77

<sup>5</sup> عبيد بوداود، المرجع السابق ، ص584

ولعل أهم زوايا تلمسان في زوايا أبي يعقوب التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني في المدرسة التي أسسها سنة (765هـ / 1361م) فقد أنفق عليها أموال جلييلة والجرايات لصيانتها<sup>1</sup> ونلاحظ أن هذه الأوقاف كانت متنوعة بين رباع : حوانيت ، توشة ، طاحونة ، رحا ، حمام ، عزن ، فندق، وهي التي تقع داخل مدينة تلمسان ، وبين أراضي زراعية وأشجار زيتون ومعصرة ورحا خارج مدينة تلمسان مما يضمن دخلا كثيرا لهذه الزاوية<sup>2</sup>.

والظاهر أن هذه الوثيقة الحبسية قد كتبت سنة (763هـ / 1361) سنة الشروع في بناء الزاوية ، وجدت سنة 765هـ / 1363 م وهي سنة الانتهاء من بناتها ، ما يجعلنا نستنتج أن المشروع البناء استفاد من هذه الملاك المحبسة بالإضافة إلى ما رصده السلطان من جريات أخرى، أما يعد فراغ من المشروع فإن المستفيدين حدثهم الوثيقة الحبسية في المعلمين والطلبة بالإضافة إلى الإمام والمؤذن<sup>3</sup>

زاوية أبي مدين شعبين<sup>4</sup> كانت تضم بيوتا الاستقبال المسافرين وعابري السبيل وطلبة العلم، وحسبت عليها أوقاف متنوعة<sup>5</sup> حيث كانت ضخمة لمثابة الولي صالح أمي مدين شعب عند السلاطين وعامة الناس<sup>6</sup> كانت تصرف مدخيلها في التكفل بالقراء والحجاج المقيمين بها والواردين عليها بتوفير الأكل والمشرب والمأوى وكذلك دفع رواتب المقيمين على خدمتها بمختلف العتائف<sup>7</sup>

حيث حبست على هذه مجموعة من الجنان والحماميم والرحى والحوانيت<sup>8</sup>، ومن زوايا المغرب الأوسط الأكثر شهرة هي زاوية وهران التي أنشئها الشيخ إبراهيم التازي من 800هـ وحبس عليها العديد زمن الأوقاف حتى أنه لا يورث أهله شبرا مما كانت تحت يديه، وكل ما بناه وأشرف عليه حبسا وعلى الزاوية "فكان من عاداته إذ أكمل الموضع البناء وجل الشهادة عليه بأنه حبس على الزاوية حتى أنه لم يترك لورثته من الأرض شبا ولا زخر ولا فضة تبرأ"<sup>9</sup> وزاوية أبي الحسن بن مخلوف

<sup>1</sup> التنسي، المصدر السابق، ص179

<sup>2</sup> (ch)-Brosseelardi 'Mosquée ouled el imam', in Revenu african 3<sup>eme</sup>. N°13octobre 1858, pp169-170

<sup>3</sup> عبيد بوداود ، المرجع السابق ، ص166

<sup>4</sup> تقع بالعباد، تلمسان، نصريح الشيخ الولي أبي مدين شعيب ، أنشأها السلطان المريني أبي الحسن ما بين سنتي (739 - 717هـ / 1339- 1347) رفقة المسجد والمدرسة ينظر : ابن مرزوق المصدر السابق ص403- 404

<sup>5</sup> أنظر الملحق رقم 03

<sup>6</sup> عبيد بوداود ، المرجع السابق ص89

<sup>7</sup> زينب رزيوي ، المرجع السابق ص124

<sup>8</sup> عبيد بوداود، ص590

<sup>9</sup> زينب رزيوي ، المرجع السابق ص125

الشهري بركان<sup>1</sup> قرب المدرسة الجديدة التي خباها أبو العباس أحمد العاقل سنة (834-866هـ / 1430-1461هـ) حيث الممتلكات الوقفية وكان له عناية عظيمة بالوالي الزاهد القطب الغوت شيخ الزهاد وقوة العباد السيد أبو علي الحسن بن مخلوف (857هـ/1453م) فكان يكثر من زيارته ، حيث أوقف عليها أوقاف جليلة حيث أحيى ندرت أجرى الوظائف مما كانت عليه<sup>2</sup>

### 3/الوقف على الكتاتيب:

الكتاب جمع "كتاتيب"، والمكتب كما يسمى أحيانا مخصصا عادة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة للأطفال ، عبارة عن حجرة أو دكان أو جناح في مسجد بل أن بعض الواقفين كان يكتفي بفتح غرفة في منزله على الشارع ويجعلها كتابا للأطفال ، وكانت الكتاتيب منتشرة في جميع الأحياء والكثير منها كان يحمل اسم الحي الواقع فيه وأحيانا المكتب يحمل اسم الواقف<sup>3</sup>.

ولقد وضعت هذه الكتاتيب لتعليم الصغار والحفاظ على المسجد من النجاسة التي قد يحملها هؤلاء الصغار، وكان أثاثها عبارة عن حصير مصنوع من الحلفاء وكان لكل طفل لوح من الخشب مصقول ودواة الحبر وقلما من القصب الجاف ، وإناء يمحو فيه الأطفال ألواحهم<sup>4</sup>.

وكانت يدرس فيه القرآن ، رواية الشعر والتدرب على الكتابة والقرآن وتعلم أولويات الحساب، وانتشرت هذه الكتاتيب في المدن والقرى<sup>5</sup>، ومن العوامل التي أدت إلى انتشارها أموال الأوقاف في بناءها وتجهيزها ، حيث ساهمت الكتاتيب في نشر التربية الدينية ووضع الأسس الأولى للإقبال على العلم والتعلم ونجد هذا التعليم متغلغلا في أقصى البوادي المغربية<sup>6</sup>.

إنما يقال عن التعليم في الكتاب أن أجره معلميه ونفقتهم كان يتحملها أولياء التلاميذ، وذلك راجع لعدم تدخل الدولة في شؤون التعليم بالكتاب قبل وبعد

<sup>1</sup> الحسن بن مخلوف بن مسعود المزيلي أبو عمل شهير بركان معناها بالبربرية الأسود فقه مالكي ، محدث من أهل تلمسان نشأته وتعلم ، ينتظر رشيد بورويبة ، المرجع السابق ص189

<sup>2</sup> عبيد بوداود ، المرجع السابق ص170

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ج1، ص214.

<sup>4</sup> - لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص231

<sup>5</sup> - ميخوث بودواية، المرجع السابق، ص76

<sup>6</sup> - عبيد بوداود، المرجع السابق، ص558

القرن (7هـ/13م) باستثناء دور المحتسبة الذي كان يراقب معاملة المعلمين للصبيان وسلوكهم ، والقاضي الذي يسهر على تعليم اليتامى، أما بدءا من القرن (8هـ/14م) بدأت الأوقاف تتكفل بتعليم الصبيان والمعلمين.<sup>1</sup>

#### 4/الوقف على المكتبات:

المكتبات من المؤسسات التي نالت حظا كبيرا من الوقف الخيري وذلك لتسيير العلم وتسهيل المعرفة.<sup>2</sup> فالمكتبات تعد المرجع الثاني للطلبة بعد الأستاذ والمدرسة<sup>3</sup>، ولقد أنشأت هذه المكتبات الوقفية لمن لا يستطيع شراء الكتب أو لا يستطيع العثور عليها ، فلقد أدرك كل الواقفين للمدارس وزوايا العلم وحلقات الدرس في المساجد أهمية الكتب في العملية التعليمية وأن تشييد الأبنية وتوفير جهاز التدريس غير كاف فاهتموا بوقف الكتب وذلك لتوفير مادة العلمية يستند عليها المعلم والمتعلم في وقت واحد ن فأصبح من المعتاد وجود مكتبة في كل مدرسة أو جامع أو رباط وقف على طلبة العلم وغيرهم.<sup>4</sup>

فهذه المكتبات هي مكتبات خاصة أوقفها أصحابها على طلاب العلم فصارت مكتبات عامة متاحة لجميع الدارسين، ولقد انتشرت هذه المكتبات في العالم الإسلامي فلقد ارتبط ظهور العامة وانتشارها بمبدأ وقف الكتب معينة أو طائفة من القراء ولا يجوز التصرف فيها في أي حال من الأحوال كما كان وقف ، كتب عالم بعد وفاته على أهل العلم أو على ورثته، واهتم واقفوا المكتبات المستقلة أو تلك التي تكون في مدارس أو مساجد يتوفر دخل مادي ثابت لها لصيانتها وترميمها وتحمل التكاليف المادية للعاملين فيها ، وعين بعضهم ريعا يساعد على نمائها وازدهارها عبر السنين.<sup>5</sup>

ولقد حبست الكتب لصالح الطلاب بقصد إبعادها الفضوليين والجاهلين الذين ظهروا بمظهر العلماء ، هذا يشترط أن يكون المستفيد من طلاب متحليا بسلوكهم<sup>6</sup>.

1 - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص345

2 - عبد المنعم صبحي، المرجع السابق، ص128.

3 - ياسين بن ناصر الخطيب، المرجع السابق، ص307

4 - عبد المنعم صبحي، المرجع السابق، ص128

5 - انتصار عبد الجبار مصطفى يوسف، المرجع السابق، ص33

6 - أنور محمد الزناتي: "الوقف على المكتبات في الحضارة الإسلامية ودوره في النهضة العلمية" الأندلس نموذجا، دورية كان التاريخية "مجلة الكترونية"، القاهرة ، السنة 5، العدد 2012، 10، ص42

وتعتبر مكتبات المساجد هي النواة التي قامت على أساسها كل أنواع المكتبات الأخرى فكانت هناك مكتبة داخل كل مسجد واحتوت هذه المكتبات على كل أنواع الكتب دينية وثقافية وقد كان من دعاة العلماء أن يوقف كتبهم على المساجد ليضمنوا حفظها وإتاحتها لطلاب والدارسين، وكان الإنفاق عليها من ريع الأوقاف التي توقف عليها حيث خصصت الدولة أوقافا معينة لها وكذلك وضع الأغنياء أوقافا تساعد في الإنفاق عليها<sup>1</sup>.

لقد بادر السلاطين بنو زيان بإنشاء المكتبات بتحبيس الكتب ولعل أهمها المكتبة التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني عام (760هـ/1359م) وكانت تقع هذه المكتبة بالجامع الكبير على يمين المحراب<sup>2</sup>. "أمر بعمل هذه الخزانة المباركة أبو حمو بن الأمراء الراشدين أية الله أمره وأعزه نصره ونفعه عما وصل ونوى وجعله من أهل التقوى وكان من عملها ليوم الخميس ثالث عشر لذي القعدة عام سبعمئة وستين 760هـ<sup>3</sup>.

وتهتم مختلف الكتب في مختلف العلوم والفنون، بالإضافة إلى نفائس المخطوطات، وقد امتدت آثار هذه الخزانة إلى القرن (9هـ/15م)، بل ربما قد تزداد ضخامة واتساعا على توالي السنين وازدهار الحياة العلمية بها<sup>4</sup>.

بالإضافة إلى المكتبة التي أنشأها السلطان أبو زيان محمد الثاني (796هـ/1394م) وكانت هذه المكتبة تقع بالقسم الأمامي من الجامع الكبير<sup>5</sup>، حيث ضاهت هذه المكتبة العديد من الكتب ومنها الكتب التي نسخها السلطان أبي زيان محمد بن أبو حمو مثل القرآن الكريم وكتاب الشفا لأبي القاضي عياض<sup>6</sup>، وصحيح البخاري، وبالإضافة إلى الكتاب الذي ألفه ونحى فيه منحى التصوف سماه "الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة"، وعن ذلك يقول تغري واصفا إياه في قوله:

- أنور محمد الزناتي، المرجع السابق، ص 401

- عبيد بوداود، المرجع السابق، ص 399<sup>2</sup>

- زينب رزيوي، المرجع السابق، ص 101<sup>3</sup>

- المرجع نفسه، ص 104<sup>4</sup>

<sup>5</sup> - بسام شقدان، المرجع السابق، ص 243

<sup>6</sup> - القاضي عياض: بن موسى المتوفى 544هـ من كبار العلماء برع في فقه والحديث وأشهر كتبه " الشفا بتعريف حقوق المصطفى"، ينظر: تنسي، المصدر السابق، ص 211.

لئن كان بحرا من العلوم فإن فيه  
أبحرا عشنا  
له بكتاب الله أعتنى عنايته  
المغرم المغررا  
فما همه إلا كتاب وسنة  
و الأخررا  
فنسخ كتاب الله جل جلاله  
النص<sup>1</sup>

ولقد اهتم السلاطين بالمكتبات و زودها بالعديد من الكتب ، مثل السلطان أبو حمو موسى الثاني صاحب كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك " ، وكذلك العلماء بمجموعة كبيرة من الكتب ولقد عمل الأفراد من المجتمع الزياني سعت على توفير الأوقاف المكتبات حتى توفر دخلا للعاملين بها وشراء الكتب لتزويد بها<sup>2</sup>.

و لقد ساهمت هذه المبادرة في توفير الكتب لطلبة العلم في زمن لم يكن من السهل فيه الحصول على تلك الكتب وغلاءها ونفستها و فقد البعض الآخر منها<sup>3</sup>. كما لم تنحصر هذه المكتبات لدى المؤسسات التعليمية فقط، بل أيضا عند الخاصة، وفي بيوت الأسر العريقة بالعلم ولدى الوراقين كذلك.

وخاصة أمهات الكتب الدينية المكتوبة بخط جميل والمجلدة تجليدا رفيعا وكذلك المصاحف وكتب الوعظ و الفقه و التصوف و علم الكلام.

أما كتب الفلسفة فقد حرص أمناء المكتبات و المشرفين عليها على عدم اقتنائها لان محتوياتها تتعارض مع أفكار الشريعة الإسلامية ، ولقد كانت المكتبات تخضع إلى النظام و قوانين فرضها المحبسون ، منها عدم إخراج الكتب خارج المدرسة أو المسجد التي كانت أبوابها مفتوحة طوال النهار غير أنها تكون أكثر ازدحاما ما بين الصلاة العصر و المغرب و هي الفترة التي ينهي فيها الطلاب من الحصص الدراسية<sup>4</sup>.

1 - المصدر نفسه، ص219

2 - بسام شقدان، المرجع السابق، ص244

3 - عبيد بوداود، المرجع السابق، ص393

4 - هوارية بكاي، العلاقات الزيانية و المرينية سياسيا وثقافيا، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2007، ص84

إن الغرض من إنشاء المكتبات الوقفية مساعدة العلماء الباحثين بتوفير أكبر قدر من مصادر المعلومات و تسهيل سبل الدرس و المطالعة و التأليف و الترجمة لمن يرغب مواصلة الدراسة ، حيث كانت الكتب تتسع على أيدي ناسخين متخصصين و كان ثمن الكتاب باهظا يتعذر على طالب العلم أو العالم الفقير شراؤه ، فكيف إذا أراد أن تكون له مكتبة خاصة في العلم الذي يتخصص فيه <sup>1</sup> .

<sup>1</sup> - عبد المنعم صبحي، المرجع السابق، ص128

## الخاتمة:

ان المجتمع الزتاني خلال القرنين السابع و التاسع هجريين الثالث عشر و الخامس ميلادي عرف ترابط و تكافل كبيراً و يعود ذلك الى حجم انتشار الاوقاف، فساهم في بناء المنشآت كالمدارس و المساجد، و الزوايا التي ادت دورها التعليمي و الديني، بفضلها و انتشر خصوصاً داخل الاسر الحاكمة حيث انه يعد ظاهرة من الظواهر البارزة في المغرب الاسلامي، لأنه مؤسسة تنظيمية خيرية، تستمد وجودها من الاحكام الشرعية فساهمت الاحتباس في تعمير المساجد، و نشر الفضيلة و انتعاش الحركة العلمية، و استمرارها و كان له دور في تغطية نفقات الطلبة، و اجر المعلمين و ساعد على الديمومة المستمرة للتعليم، و بروز جيل من العلماء، الذين برزوا في مختلف ميادين الحياة، ساهموا في بناء الدولة و تعزيز انتشار المذهب المالكي في المغرب الاسلامي .

ولقد قدم للمجتمع، خدمات جليلة من خلال بناء الكثير من المنشآت العمرانية، التي بنيت من اموال الحبس، و سد حاجيات الفقراء، و المساكين كما شكل مصدر رزق الارامل و اليتامى، و كان سندا قويا في الحركة الجهادية، في بلاد الكفار من خلال تجهيز الجيش، و توفير المال لصناعة الاسلحة، و بناء الحصون، و فك اسر المسلمين، بالإضافة لاعتنائها بالمرستات التي كانت، تتعهد المرضى، بالعلاج و الايواء.

وكان له، دور في الحفاظ على موروث ضخم من خلال بناء الزوايا و المكتبات، فكل ما وصل الينا من مخطوطات بفضل الوقف، و انتشار ظاهرة حبس الكتب، شكل مصدر رزق الكثير من، العلمين و خلفت لنا اليوم، ثراثا معماريا اصبح قبلة لسياح الاجانب.

قائمة المصادر و المراجع :

1-المصادر :

1-ابن الأحمر: (جو الوليد اسماعيل ابن يوسف الخزرجي ت 807-1404  
(،تاريخ الدولة الزيانية،تحقيق ،سلامة هاني ،مكتبة الثقافة الدينية  
،مصر، ط1 ، 1421 هـ، 2001م

2-الإدريسي:(548هـ /1154م) نزهة المشتاق في إختراق الأفاق ،ترجمة  
،الصادق محمد الحاج ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1983

3-إبن الخطيب : (لسان الدين )،الإحاطة بأخبار غرناطة ،(ج 2) تحقيق  
،عنات محمد بن عبد الله الشركة المصرية للطباعة و النشر ،القاهرة  
،1393هـ/1973 م.

4- ابن خلدون : ( أبو زيد عبد الرحمن ،ت 808 /1405م) العبد و ديوان  
المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عناصرهم من ذوي  
السلطان الأكبر ، دار الكتاب ،المصري ،1999.

5- (.....،.....)،مقدمة ، دار الكتاب ،بيروت ، ط3،دت .

6- ابن خلدون يحي ،بقية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ،ج 1،تحقيق  
،بلا الفرد ، مطبعة ،فونطانة ،الجزائر ،1910م .

6-إبن قنفذ القسنطيني ،الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تونس  
1968.

7-إبن منظور : (محمد بن مكرم بن علي ت 711هـ /1211م) ،لسان العرب  
،المحيط مجلد ،تحقيق ،الهلالى عبد الله ،خياط يوسف ،دار الحبل بيروت  
(،1405هـ /1950م).

8- ابن مرزوق ، ( ت 781 هـ - 1379 م ) ، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن ، تحقيق ، بيغراماريا خيسوس تقديم ، بو عياد محمود ، الشركة الوطنية ، الجزائر ، 1981.

9- ابن مريم الشريف التلمساني : البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، ديوان المطبوعات الجزائر ، 1986.

10- التنسي : ( محمد بن عبد الله ، ت 899 هـ / 1493 م ) تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ، مقتطف من نظم الدرالعقيان في بيان شرق بني زيان ، تحقيق ، بو عياد محمود أغا ، موفم لنشر الجزائر ، 2011.

11- الحفناوي : ( أبو القاسم محمد ) تعريف الخلف برجال السلف ، تحقيق أبو جفان محمد مؤسسة الرسالة بيروت المكتبة العتيقة ، تونس ، ط 1972 ، 1.

12- المازوني : أبو زكريا يحيى موسى المغيلي ، المازوني ، الدرر الكمنونة في نوازل مازونة ، ج 1 ، تحقيق : مختار حساني ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، ب. ط ، 2009 ، ص 34.

13- المقرئ أحمد بن محمد ، نفح الطيب من عرض الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، ج 6 ، تحقيق ، إحسان عباس ، دار البيضاء بيروت .

14- الناصري . ( أبو العباس أحمد بن خالد ) الإستقصا الأخبار المغرب بالأقصى ، ج 2 ، تحقيق جعفر ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1904 م.

## المراجع :

1 - أبو زهرة (محمد) محاضرات في الوقف دار الفكر ، بيروت 1909 م

- 2- أبو شعيشع (عبد المنعم) نظام الوقف في الاسلام وأثره في الدعوة إلى الله، دار الجامعة الجديدة السعودية، 2007.
- 3- بلعربي (خالد) الدولة الزيانية في عهد يضمرايين بن زيان ، دراسة تاريخية وحضارية ، 684هـ-633 (1235أ - 1282) المكتبة الوطنية للفنون المطبعية ، مطبعة تلمسان، ط1 ، 1426هـ 2005م
- 4 - بن قربة (صالح) مصادر تاريخ مدارس في العهد الزياني ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر المركز الوطني لدراسات والبحث في الحركة وثورة أول نوفمبر 1945 الجزائر 2007
- 5 - بوداود (عبيد) الوقف الاسلامي ، ما بين القرنين، (7و9هـ) (13/15) وعوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، مكتبة الرشاد الطباعة والنشر الجزائر ، ط1 2001
- 6- الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، ج2 دار الثقافة ، بيروت ، ط4 ، 1980
- مبارك أميلي محمد تاريخ الجزائر في القديم والحديث، وتصحيح الميلي ، محمد مؤسسة الوطنية ، الكتاب.
- 7- حاجيات (عبد الحميد) أبو حمو موسى حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط1 2001.
- 8- حساني (مختار) تاريخ الدولة الزيانية ، ج2 منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2011
- 9- الخطيب (ياسين) آثار الوقف في نشر التعليم والثقافة وأثره في الدعوة إلى الله، دار الجامعة 1422هـ.
- 10- الدراجي بوزيان ، نظم الحكم في الدولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1993.
- 11- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ج2 دار النهضة العربية ، بيروت ، د ت
- 12- ساعاتي (يحيى محمود) الوقف دينيته المكتبة العربية ، استبطن الموروث الثقافي، المملكة العربية السعودية ، ط2 ، 1416 ، 1996
- 13- سرجاني (راغب) روائع الأوقاف في الحضارة الاسلامية ، إشراف داليا محمد ، إبراهيم، شركة النهضة الطباعة ، مصر ، ط1، 2010
- 14- سعد الله (أبو قاسم) تاريخ الجزائري الثقافي (1830-1500) ج1، دار البصائر الجزائر 2009

- 15- شاكر مصطفى ، موسوعة دول العالم العربي ، ورجاها ج2 دار العلم للملايين ، لبنان 1993 .
- 16- شاولش (بن رمضان (الحاج محمد) باقة السوسان في التفريق بحاضرة تلمسان دولة تمازيان، ج1 ديوان المطبوعات الجامعية 2011
- 17- شقدان بسام كامل عبد الرزاق، في العهد الزياني (962-633هـ) (1235-1555) رسالة ماجستير منشورة في التاريخ ، الجامعة النجاح الوطنية ، فلسطين، 2002
- 18- الصلابي (علي محمد) تاريخ دواق المرابطين والموحدين، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الجزائر، 1432هـ
- 19- عبدلي لخضر ، التاريخ السياسي والحضاري لبني عبد الواد الابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر ، ط1، 2011
- 20- فيلاي (عبد العزيز) تلمسان في العهد الزياني، ج2 م..... لنشر ، الجزائر ، 2011
- 21- قحف (منذر) الوقف الاسلامي تطوره، إدارته، تميمته، دار الفكر ، بيروت، لبنان، ط2000، 1.
- 22- مبارك (ميلي محمد )، تاريخ الجزائر القديم و الحديث، تقديم ، وتصحيح محمد مؤسسة الوطنية ، للكتاب ، دت
- 23- المدني أحمد توفيق، الكتاب الجزائر ، دار الكتب البلدية ، الجزائر -1963.

### الرسائل الجامعية:

- 1 -بلحسن (براهيم) العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأدنى، من القرن 7 إلى 9 هـ/ 13-15م رسالة ماجستير ، ثقافة شعبية ، جامعة أبي بكر بلقايد، 2004.
- 2 -بوحسون (عبد القادر) العلاقات الثقافية بين المغرب الاوسط والاندلس خلال العهد الزياني، رسالة ماجستير ، في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان، 2007، 2008.
- 3- بورملة (خديجة) صورة المغرب الأوسط في كتابات الرحالة وجغرافيين العرب، والمسلمين، رسالة ماجستير، تاريخ المغرب الأوسط، جامعة جيلالي اليابس 2011، 2012.

- 4- رزيوي (زينب) مؤسسات التوجيه الثقافي في في مجتمع المغرب الأوسط ما بين القرنين (13-15) رسالة ماجستير ، تاريخ الوسيط، جامعة جيلالي اليابس ، سيدي بلعباس، 2009-2010.
- 5- طويلب عبد الله الروابط الثقافية بين الدولة المريقية وجنى نصره رسالة الماجستير في التاريخ السياسي والثقافي في المغرب الاول ، جامعة أبي بطر بلقايد ، تلمسان ، 2009، 2010.
- 6--عبد الهادي (فاطمة)،التأثير الحضاري الأندلس في تلمسان 633هـ/962هـ-1235م-1554م. رسالة ماجستير ، تاريخ المغرب الإسلامي ،سعيدة ،2014،2013.
- 7 - لقريزي (العربي) مدارس السلطان أبي الجنس سيدي أبي مدين نموذجاً، رسالة ماجستير فنون شعبية جامعية، أبي بكر بلقايد ، تلمسان، 2001،2000.
- 8- مبخوت (بودواية) العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان العربي في عهدين زيان ، رسالة وكثرة في التاريخ الإسلامي ، جامعة ابن بكر بلقايد ، تلمسان 2005،2004.
- 9- اليوسف (عبد الجبار مصطفى) انتصار المقاصد التشريعية الأوقات الإسلامية ، رسالة ماجستير في الفقه وأصوله ، الجامعة الاردنية، 2007.

#### المجلات ودوريات:

- 1 - بورويبة (رشيد) جولة عبر مساجد تلمسان "مجلسة الأصالة الجزائر، سنة 4 العدد 26 ، 1975.
- 2- بوسلاح (فايزة) المدارس العلمية بتلمسان على عهد الزياني" المجلة عصور الجديدة، وهران العدد 02 ، 2010 ، 2011.
- 3- بو عزيز (يحيى) الأدوار التاريخ لدلة بن عبد الواء الزيانية" ، مجلة الأصالة، الجزائر، السنة4، العدد 26 ، 1975.
- 4 - حاجيات (عبد الحميد) الحياة الفكرية في عهد بن زيان" مجلة الأصالة وزارة الشؤون الدينية والتعليم، الجزائر، العدد 26 ، ديسمبر 2013.

#### المراجع بالأجنبية:

(ch)-Brosseelardi "Mosquée ouled el imam",in Revenu african 3<sup>eme</sup> N°13octobre 1858,pp169-170

